بيان

أركان الإيمان

تأليف الفقير إلى عفو ربه

عبدالله بن صالح القصيّر

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
القصير، عبدالله صالح
بيان أركان الإيمان / عبدالله صالح القصير ـ الرياض، ١٤٢٤هـ
١٠٢ص؛ ٢٤سم
ردمك: ٣-٣٨-١٠-٩٩٦٠
١- الإيمان (الإسلام) ٢- العقيدة الإسلامية أ. العنوان
ديوي ٢٤٠ ١٢٤٢/١٥٢٥
رقم الإيداع: ١٤٢٤/١٥٢٥
ردمك: ٣-٣٨-١٠-٩٩٦٠

الطبعة الأولى
١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م

الشاذلي
للنسخ والإخراج
٠٥٣١٥٣١٠٢

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله وحده ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ..

أما بعد :

فهذه خلاصة لمحاضرات في أركان الإيمان ألقيتها في عدة مناسبات، وقد طلب مني بعض الحضور كتابتها، والإذن بنشرها ، لينتفع بها ، ورجاء أن يعم الله تعالى بنفعها ، لشدة الحاجة إلى الإلمام بموضوعها.

وقد يسر الله تعالى كتابتها ومراجعتها، وسميتها : **بيان أركان الإيمان**.

فها هي بين يدي المسلمين .. والحمد لله رب العالمين .

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

قاله وكتبه الفقير إلى عفو ربه القدير

عبدالله بن صالح القصيّر

جمادى الأولى ١٤٢٣هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد في

معنى العقيدة وبيان التوحيد والعلاقة بينهما

أولاً : معنى العقيدة لغة واصطلاحاً :

العقيدة لغة : مصدر من اعتقد يعتقد اعتقاداً وعقيدة، مأخوذ من العقد، وهو : الربط والشدُّ بقوة وإحكام ، ونحو ذلك مما فيه توثق وجزم، ولذا يطلق العقد على البيع والعهد والنكاح واليمين ونحوهما من المواثيق والعقود لارتباط كل من الطرفين بهذا العقد عرفاً وشرعاً ، إلى غير ذلك مما يجب الوفاء به قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ ﴾ [المائدة : ١] .

والعقيدة في الاصطلاح : ما ينعقد عليه قلب المرء ويجزم به؛ بحيث لا يتطرق إليه الشك فيه ، فهي حكم الذهن الجازم أو ما ينعقد عليه الضمير أو الإيمان الجازم الذي يترتب عليه القصد والقول والعمل بمقتضاه .

ثانياً : صحة العقيدة أو فسادها :

عقيدة المرء هي : إيمانه الجازم الذي ينعقد عليه قلبه ويحكم به ذهنه ويتخذه مذهباً وديناً يدين به ، بغض النظر عن صحتها وفسادها ، ولهذا يفرق بين العقائد ، فيقال : هذه عقيدة صحيحة ، نظراً لقيام الحجة والبرهان على صحتها : كاعتقاد المؤمنين بتفرد الله تعالى فيما يختص به ويجب له ، واعتقادهم بطلان تسوية غيره به في شيء من خصائصه وحقوقه .

وما خالف الحق فهو اعتقاد باطل لقيام الدليل على بطلانه : كاعتقاد ضلاّل النصارى أن الله تعالى هو المسيح ابن مريم ، أو أنه ثالث ثلاثة ،

واعتقاد المشركين أن أصنامهم وأوثانهم آلهة مع الله ، ونحو ذلك من الملل المحرّفة والعقائد الباطلة التي لا يحصيها إلا الله عز وجل .

ثالثاً : العقيدة الإسلامية الصحيحة :

العقيدة الإسلامية التي دلت عليها أصول الإسلام الكتاب والسنة وإجماع الصحابة رضي الله عنهم هي العقيدة الصحيحة .

وهي : الإيمان الجازم بالله ،وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وبكل ما جاء به القرآن والسنة الصحيحة من : الأخبار والغيوب والأحكام القدرية والشرعية والجزائية ، وسائر ما أجمع عليه السلف الصالح، والتسليم لله بذلك كله، والعمل له تعالى بمقتضاه، والطاعة للنبي ﷺ والاتباع له .

فهي : تصديقٌ بالغيب ، وتوحيدٌ وتنزيه للربّ،وعبادةٌ لله بما شرع ، واليقين بلقائه سبحانه وجزائه .

رابعاً : ما يدخل في العقيدة الإسلامية :

تشمل العقيدة الإسلامية : وجوب توحيد الله تعالى فيما يجب له ، وتنزيهه عما لا يليق به ، والقيام بأركان الإسلام وحقائق الإيمان والإحسان، والتصديق بالنبوات، والكتب ، وأحوال البرزخ، والآخرة، وسائر أمور الغيب ، وتحقيق الولاء والبراء ، والقيام بالواجب نحو السلف الصالح وسائر أهل الإسلام ، والموقف الشرعي من سائر أهل الملل والبدع ونحوهم من المخالفين .

خامساً : الفرق بين العقيدة والتوحيد :

سبق توضيح المراد بالعقيدة وبيان العقيدة الإسلامية الصحيحة .

أما التوحيد : فهو في اللغة : مصدر وحَّد يوحِّد توحيداً : أفرد الشيء، أي : جعله واحداً، أي : الحكم بأن الشيء واحد .

أما في الاصطلاح : فتوحيد الله تعالى هو : اعتقاد تفرده بأفعال الربوبية ومقتضيات الألوهية وسائر الكمالات في الذات والأسماء والصفات والأفعال، واعتقاد تنزهِهِ سبحانه عن صفات النقص والمثال والشركاء والأنداد، وإفراده بأفعال عباده على الوجه الذي شرع ، وترك الشرك والبدع وبغضهما وأهلهما .

فالتوحيد أخص أمور العقيدة ؛ لأنه يتعلق بإثبات ما يجب لله تعالى ، ونفي ما لا يليق به سبحانه وتعالى، والقيام بحقه وفق شرعه ابتغاء وجهه ، والبراءة مما خالف ذلك ومن مخالفه من المكلفين ، وإنما سُمي دين الإسلام توحيداً لأن مبناه على أن الله تعالى :

* واحدٌ في ربوبيته وخلقه وملكه وتدبيره ، فلا شريك له .

* وواحدٌ في إلهيته وعبادته ، فلا ند له .

* وواحد في أسمائه وصفاته وأفعاله ، فلا سَمي له ولا مثل له .

فإطلاق التوحيد على العقيدة تغليباً وتنبيهاً على شرفه من باب تسمية الشيء بأشرف خصائصه ؛ لأنه يتعلّق بمعرفة الله تعالى وفعله وحقه على عباده، وتحقيق ذلك قولاً وفعلاً وقصداً وبراءة مما يضادّ ذلك ويخلّ به .

سادساً : حقيقة التوحيد وأهميته :

حقيقته : انجذاب القلب والروح إلى الله تعالى محبةً وتعظيماً وخوفاً وإنابةً وخضوعاً ، بأن يعمل العبد لله تعالى صالحاً ، فيفعل المأمورات ما استطاع، ويترك المنهيات ويتوب إلى الله من السيئات توبةً نصوحاً ، رغبةً ورجاءً ورهبةً وخوفاً وطمعاً ، وهو مدلول شهادة أن لا إله إلا الله ومقتضاها، وأول الواجبات وأهم المهمات ، وشرط قبول العمل ، وأثقل شيء في الميزان ، قال تعالى: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ الآية [محمد :١٩] ، وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ ﴾ [البقرة :٢١] الآية ، وقال سبحانه : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ ﴾ [البينة :٥] الآية، وقال تعالى : ﴿ ۞ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ [النساء :٣٦] الآية، وقال ﷺ لمعاذ عندما بعثه إلى اليمن : **« فليكن أول ما تدعوهم إليه أن يوحّدوا الله »** فدلّت هذه النصوص وغيرها مما جاء في معناها على أن التوحيد حقّ رب العالمين ، وأعظم واجب على المكلفين ، وأول ما يدخل به الإسلام، وأعظم مكفّر للآثام .

* * *

أركان العقيدة والإيمان

تقرر مما سبق أن العقيدة الإسلامية هي : الإيمان الجازم والتصديق التام بالله تعالى ، وما جاء عنه ، وما يجب له سبحانه ، وتحقيق ذلك نيةً وقصداً وقولاً وعملاً بمقتضى ذلك ، وتركاً لما ينقص كمال الإيمان الواجب أو ينافيه ويضادّه، وقد بيّن الله تعالى أصول الإيمان بقوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ ﴾[البقرة : ١٧٧] ، وقوله سبحانه : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر :٤٩] .

وجمعها النبي ﷺ في إجابته على سؤال جبرائيل عليه السلام عندما قال له : ما الإيمان ؟ فقال : « **الإيمان : أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره** »[1] .

وفيما يأتي أشير إلى جملة من مهمات كل ركن من هذه الأركان الستة على وجه يحصل به المقصود إن شاء الله ، سائلاً الله تعالى الهدى والسداد، والوقاية من الزلل ، والتوفيق لصالح العمل .

* * *

(١) رواه البخاري برقم (٥٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه ، ومسلم برقم (٨) عن عمر رضي الله عنه .

الركن الأول :

الإيمان بالله تعالى

تعريف الإيمان لغةً :

١- ذهب كثير من أهل العلم إلى أن الإيمان في اللغة هو التصديق بدليل قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا ﴾ أي : بمصدق ، فصدقت وآمنت معناهما عندهم واحد .

٢- وذهب آخرون إلى أن الإيمان في اللغة هو الإقرار بالشيء عن تصديق به ، بدليل التفريق بين قول القائل : « آمنت بكذا » أي : أقررتُ به ، و « صدقّتُ فلاناً » ولا تقل « آمنت فلاناً » .

تعريف الإيمان شرعاً :

بناءً على ما سبق فالإيمان في اللغة يتضمن معنىً زائداً على مجرد التصديق وهو الإقرار والاعتراف بالشيء، المستلزم لقبول الخبر والإذعان لحكمه ، فهو أمر علمي اعتقادي يترتب عليه عمل القلب وقول اللسان وعمل الجوارح ، فإن من كذّب الخبرَ أنكره قلباً، وردَّه قولاً، وترك العملَ بمقتضاه فعلاً ، ومن صدَّق الخبرَ اطمأن إليه قلباً، وشهد به قولاً، وحقَّق العمل بمقتضاه فعلاً أو تركاً .

فمعنى الإيمان شرعاً : هو ما دلّ عليه الكتاب والسنة وإجماع السلف الصالح من الأمة أنه : قولٌ باللسان ، واعتقادٌ وعمل بالجنان ـ أي القلب ـ، وعملٌ بالجوارح .

وكم من آية قرآنية صريحة وحديث نبوي صحيح وأثرٍ ثابتٍ عن السلف تضمَّن إطلاق اسم الإيمان على اعتقادات القلوب وأعمالها وأقوال الألسن وأعمال الجوارح ، وأنه يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، والنصوص في هذا أكثر من أن تُحصر وأشهر من أن تُذكر .

أولاً : تعريف الإيمان بالله :

هو : ا لتصديق التام ، والاعتقاد الجازم بوجوده تعالى ، وما يجب له سبحانه .

ثانياً : تحقيق الإيمان بالله :

يتحقّق الإيمان بالله تعالى بأمور :

الأول : الإيمان بأن الله تعالى متفرد بالخلق والملك والتدبير مطلقاً ، فلا شريك له في ذلك ، ولا مدبِّر معه ، ولا معقِّب لحكمه ، ولا رادَّ لقضائه، قال تعالى : ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف :٥٤] .

وهذا التوحيد مستقر في فِطَر عامة البشر ، فهم مُقِرُّون لله تعالى به ، قال تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ﴾ الآية [لقمان :٢٥] ، وقال تعالى : ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [يونس :٣١-٣٢] .

فلم يجحد هذا التوحيد إلا مكابر معاند ، قد تظاهر بجحوده مع استقراره في نفسه، كما قال تعالى عن آل فرعون : ﴿ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَا

أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ [النمل :١٤] ، فمن أنكره فهو مقر به باطناً، وإنما تظاهر بإنكاره تكبراً وعناداً .

وقد أكثر الله تعالى من ذكر هذا التوحيد في القرآن مقرراً لأهل الشرك به ومطالباً لهم بمقتضاه،وهو وجوب اعتقاد تفرده بالإلهية وعبادته وحده ، فإن المتفرد بالخلق والرزق والتدبير هو الإله الحق الذي يجب أن يُفرد بالعبادة ، ويخلص له الدين والذي ربى جميع الخلق بالنعم ، وربى خواص خلقه وهم الأنبياء وأتباعهم بالعقيدة الصحيحة والأخلاق الجميلة والعلوم النافعة والأعمال الصالحة .

الثاني : إثبات ما أثبته الله تعالى لنفسه في كتابه ، وفيما صحَّ عن نبيه ﷺ من الأسماء الحسنى والصفات العُلى ، على الوجه اللائق بجلال الله تعالى وعظمته، من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل ، بل على حد قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى :١١]، فأثبت الله تعالى لنفسه الأسماء والصفات، ونزَّه نفسه عن مماثلة المخلوقات .

فالواجب إفراد الرب تبارك وتعالى بالكمال المطلق من جميع الوجوه وبكل اعتبار ، وبنعوت العظمة والجلال والجمال ، وذلك بإثبات ما أثبته الله تعالى لنفسه ، أو أثبته له رسوله ﷺ من جميع الأسماء والصفات ومعانيها وأحكامها ، وتنزيهه سبحانه عن جميع صفات العيب والنقص وما هو من خصائص الخلق تنزيهاً يُراد منه إثبات كمال ضد ذلك في

حقه تعالى ، قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف :١٨٠] ، وقال تعالى : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الحشر : ٢٢] الآيات إلى آخر سورة الحشر .

* فالواجب نحو نصوص الأسماء والصفات :

١- قبول ألفاظها ، والإيمان بها، والتسليم لها، واعتقاد ما دلت عليه من المعاني والأحكام .

٢- حملها على ظاهرها وحقيقتها .

٣- تنزيه الله تعالى عن مماثلة الخلق فيها وعن صفات النقص والعيب والبراءة من المعطّلة والممثلة .

٤- الثناء على الله تعالى ودعاؤه بها في كل مقام بما يناسبه، فعند طلب الرزق يسأل الله تعالى بأسماء الغنى والجود والكرم ، وعند طلب النصر على العدو يسأل الله تعالى بأسماء القوة والقهر والعظمة والعلم، وعند سؤال العفو والمغفرة يسأل الله تعالى بأسماء اللطف والرحمة والحلم والمغفرة والعفو، وهكذا .

الثالث : اعتقاد أن الله تعالى هو الإله الحق المستحق للعبادة، وحده لا شريك له ، فلا تنبغي العبادة إلا له ، ولا يستحقها أحدٌ سواه ، وإفراده تعالى بجميع الطاعات على الوجه الذي شرع ، وأن يطاع نبيه ﷺ فيها ويُتبع ، وترك الشرك والبدع .

فمن العبادات : الصلاة ، والنحر، والنذر، والدعاء ، وسائر العبادات، فلا يستحقها إلا الله وحده ، قال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾ [الحج : ٦٢] .

فيُفرد الله تعالى بأفعال الربوبية وصفات الإلهية، ويعتقد كماله سبحانه وتعالى في ذاته وأسمائه وصفاته من كل وجه وبكل اعتبار، ويُنزّه عن صفات النقص وما هو من خصائص الخلق، وتُخلص له النيات والأقوال والأعمال في سائر الحالات، لاعتقاد المسلم أن الله تعالى ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين .

فهو الإله الحق المعبود بالحق، الذي لا تنبغي العبادة إلا له، ولا يستحقها أحدٌ سواه ، وتحقيق ذلك بدعائه سبحانه وحده ، وسؤاله جميع الحاجات ، وكمال التعلّق به والتوكل عليه ، وغاية الافتقار إليه، والثقة به في تحصيل المقصود ودفع المكروه وتعاطي أسباب ذلك، وكذلك تحقيق طاعته تعالى بامتثال أوامره سبحانه واجتناب نواهيه على الوجه الذي شرع ، وعلى الكيفية المأثورة عن النبي ﷺ عن إخلاص، وبراءة من الشرك والبدع ابتغاء رضوان الله تعالى وثوابه، وحذراً من غضبه وعقابه .

❊ ❊ ❊

من ثمرات الإيمان بالله تعالى

للإيمان بالله تعالى ثمرات مباركة كثيرة، منها :

١- الثناء على الله تعالى بالأسماء الحسنى وصفات العظمة والجلال والجمال، واللهج بذكره في سائر الأحوال تلذذاً بذكره، وطلباً لمثوبته، وهو من أعظم أسباب صلاح القلوب وسلامتها ، وزكاة النفوس وطهارتها ، ونور البصيرة واهتدائها .

٢- دعاء الله تعالى بأسماء الحسنى وصفاته العلى بحسب الحاجات والأحوال، رغبة وثقة بتحصيل الخير واستجارة من الشر وأهله، واستغناء بالله عن الخلق، وسكوناً إليه واضطراراً إليه .

والدعاء من أعظم أسباب حصول النعماء، وصرف البلاء ، والوقاية من سوء ما يجري به القضاء، والنصر على الأعداء، وزيادة الإيمان والاهتداء .

٣- صدق التوكل على الله ، وتفويض الأمر إليه،والاعتماد عليه، والثقة به، والتحرر من التعلُّق بغيره .

٤- نشاط الهمة والقوة في المسارعة إلى الخيرات ، والمنافسة في الأعمال الصالحات ، ومجانبة الخطيئات ، والمبادرة إلى التوبة من جميع الزلات، فكلما قوي الإيمان بالله وأسمائه وصفاته قويَ حظ العبد من هذه الأمور .

٥- التصديق بأخباره والتسليم لأحكامِه والاعتراف بحكمته وعدله

ورحمته، واعتقاد أن ذلك كله صدق وحق، وأنه لحكم عظيمة وغايات سامية .

٦- التسليم لتدبيره سبحانه لملكه وتصرفه في خلقه وقضائه لعبده ، وأنه كله عن علم تام وقدرة باهرة وحكمة بالغة ، وأنه دائرٌ بين الفضل والعدل، فإذا قضى أمراً فإنما يقول له : كن فيكون ، ولا يسأل عما يفعل وهم يُسألون .

٧- تحقُّق الأمن والهداية للمؤمن في الدنيا والآخرة ، قال تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام :٨٢] .

٨- الفوز بالحياة الطيبة في الدنيا والآخرة والأجر الحسن قال تعالى : ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝٩٧﴾ [النحل :٩٧] .

٩- النصر المبين على الأعداء من الكافرين والمنافقين وسائر المناوئين ، قال تعالى : ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ۝٥١﴾ [غافر :٥١] .

١٠- الاستخلاف في الأرض وتمكين الدين ، قال تعالى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ ﴾ [النور :٥٥] .

١١- اجتماع الكلمة ووحدة الصف والتعاون على تحقيق الغايات المطلوبة شرعاً ، وفي ذلك تحقيق عزة المسلمين وكرامتهم لوحدة

عقيدتهم وصحتها ، فإنه لا يجمع الناس جمعاً تاماً إلا العقيدة الصحيحة التي يلتزم بمقتضاها الجميع ، وضعف التمسك بالعقيدة الصحيحة أو الضلال في الاعتقاد من أساب الاختلاف والتفرق والنزاع والتعصب لغير الحق من الأهواء والأجناس والألوان والشعارات المصطنعة ، واعتبر ذلك بحال العرب ؛ فإنهم لما كانوا ضالّين في عقيدتهم كانوا مختلفين متفرقين متحاربين ، قد فرّقوا دينهم وكانوا شيعاً ، وتقطعوا أمرهم بينهم زبراً كل حزب بما لديهم فرحون .

ثم لما مَنَّ الله عليهم بالإيمان والعمل الصالح أجمعوا على الكتاب والسنة ، وتعاونوا على البر والتقوى ، وتناهوا عن الإثم والعدوان، واعتصموا بالله مولاهم ، فاتحدوا وتحابوا وعزوا وانتصروا وسادوا الأمم وصاروا أئمة الدنيا والعالم ، وصدق الله العظيم إذ يقول ممتناً على رسوله والمؤمنين ومذكراً لهم بهذه النعمة العظيمة : ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال :٦٣]، ويقول: ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ۝ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الحجرات ٧-:٨] .

١٢- امتلاء القلب من خشية الله ، وتحلّي العبد بالتقوى لله ، فإن من عرف الله تعالى حق معرفته واستشعر عظمته وجلاله وكبرياءهُ

وذكر جماله وكماله وآلاءه امتلأ قلبه من خشية الله ، فكان أتقى لله ممن ليس كذلك ، قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ [فاطر :٢٨] ، والخشية صفة عباد الله الصالحين ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴾ [الأحزاب : ٣٩] .

ولذا لما كان النبي ﷺ أكمل الأمة معرفة بربه تبارك وتعالى كان أعظمهم له خشية وأكملهم له تقوى، قال ﷺ: « **والله إني أخشاكم وأتقاكم له** »[1] .

وفي قوله ذلك قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ ۝٨ ﴾ [البينة :٧-٨] .

١٣- الطاعة المطلقة لله تعالى والانقياد الاختياري لحكمه الشرعي ، فلا يختار المؤمن غير ما اختار الله ورسوله ﷺ له ، ولا يتحاكم إلى غير كتابه وسنة بنيه ﷺ ، قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ

---

(١) وردت هذه الجملة في أكثر من حديث :

* فوردت في حديث النفر الثلاثة الذين جاءوا يسألون عن عبادة النبي ﷺ ... الحديث . أخرجه البخاري برقم (٥٠٦٣) ، ومسلم برقم (١٤٠١) عن أنس ﷺ .

* وفي حديث الرجل الذي قال للنبي ﷺ : إني أصبح جنباً . أخرجه مسلم برقم (١١١٠) عن عائشة رضي الله عنها .

* وفي حديث عمر بن أبي سلمة ﷺ أنه سأل النبي ﷺ : أيقبّل الصائم ؟ . أخرجه مسلم برقم (١١٠٧) (٧٤) .

إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [النور : ٥١، ٥٢]، وقال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الأحزاب :٣٦] .

١٤- الإحسان إلى الخلق ورحمتهم والعفو عنهم والصفح ، طمعاً في حصول ذلك من الله لمن كان كذلك، فالراحمون يرحمهم الله ، ومن عفا عفا الله عنه، ومن غفر غفر الله له .

* فائدة : في بيان شيء من آثار الإيمان بتوحيد الأسماء والصفات :

فإن أسماء الرب تبارك وتعالى وأوصافه التي تثبت بها النصوص الشرعية وتضمنتها الكتب الإلهية أنواع ، لكل نوع أثره على المؤمن :

أ- فأسماء وأوصاف العظمة والكبرياء والمجد والجلال : كالعظيم والكبير والواسع والمجيد والجليل تملأ قلوب أهل الإيمان هيبة لله تعالى وتعظيماً له وتقديساً .

ب- وأسماء وأوصاف العزة والقوة والقهر والقدرة والغلبة تخضع القلوب وتذلها وتجعلها تنكسر بين يدي خالقها ومدبرها .

ج- وأسماء وأوصاف الرحمة والبر والغنى والجود والكرم ونحوها من أسماء وأوصاف الجمال والكمال تملأ القلوب محبة لله تعالى ورغبة ورجاء وطمعاً في امتنانه وفضله وجوده وبره .

د- وأسماء وأوصاف العلم والإحاطة : كالعليم والخبر والحفيظ والمحيط توجب للمؤمن مراقبة الله تعالى في جميع حركاته وسكناته .

❋ ❋ ❋

الركن الثاني :

الإيمان بالملائكة

أولاً : تعريف الملائكة :

الملائكة في اللغة : جمع مَلأك ، نقلت حركة الهمزة إلى الساكن قبله ثم حذفت تخفيفاً فصارت ملكاً ، وهو مشتق من « الألوكة » التي هي الرسالة، والجمع : ملائك ، وملائكة .

فالمَلَك في اللغة : حامل الألوكة وهي الرسالة، فإن الملائكة ـ عليهم السلام ـ رسل الله تعالى ، يتلقون رسالته وينفذون ما كلفوا به منها ، ويبلغون ما حُمّلوا منها إلى غيرهم ، قال تعالى : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [فاطر :١] .

والملائكة في الاصطلاح : مخلوقات نورانية عاقلة متكلمة مريدة ، أعطيت قدرةً على التشكل بالصور الحسنة ، ومسكنهم السماوات .

فالملائكة هم رسل الله تعالى في تنفيذ أمره الكوني ـ الذي يوحيه إليهم ـ في ملكوته ، وسفراؤه إلى أنبيائه ورسله من البشر في تبليغ وحيه الشرعي ورسالاته قال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ ﴾ [الحج :٧٥] .

ودليل أن الملائكة مخلوقات نورانية ما ثبت في صحيح مسلم قال ﷺ : « خُلقت الملائكة من نور »[1] ، ودليل تشكُّلهم بالصور الحسنة ما ثبت في

(١) جزء من حديث رواه مسلم برقم (٢٩٩٦) . عن عائشة رضي الله عنها .

القرآن أنهم جاءوا إبراهيم في صورة أضياف كرام[١] ،ومجيئهم إلى لوط عليه السلام - كما قال ابن كثير - في صورة شباب مُرْد حسان[٢] .

وكان جبرائيل - عليه السلام - يأتي النبي ﷺ في صورة دحية الكلبي[٣] ﷺ ، رجل من الصحابة حسن الخلق وقور الهيئة .

وجاء النبي ﷺ مرة - كما في الصحيحين - في صورة رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر ، لا يُرى عليه أثر السفر ، ولا يعرفه من الصحابة أحد[٤] .

ثانياً : خصائص الملائكة :

للملائكة عليهم السلام خصائص تميّزهم عن الجن والإنس وسائر المخلوقات :

١- أن مسكنهم السماء ، وإنما يهبطون إلى الأرض تنفيذاً لأمر الله، قال تعالى : ﴿ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴾ [الأنبياء :١٩] .

٢- أنهم لا يُوصفون بالأنوثة ، فقد كذّب الله المشركين على وصفهم لهم بذلك، فقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴾ [النجم :٢٧] .

---

(١) في قوله تعالى : ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴾ [الذاريات :٢٤] .

(٢) عند تفسير قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾ [الحجر :٦١] . قال ابن كثير (٢/ ٥٥٤) : « يخبر تعالى عن لوط لما جاءته الملائكة في صورة شباب حسان الوجوه » . اهـ .

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٢/ ١٠٧) ، وصححه أحمد شاكر برقم (٥٨٥٧) . وله شاهد عند أحمد في المسند (٣/ ٣٣٤) ، ومسلم برقم (١٦٧) . وابن سعد (٤/ ٢٥٠) ، وصححه الألباني - رحمه الله - في السلسلة الصحيحة برقم (١١١١) .

(٤) رواه البخاري برقم (٥٠) عن أبي هريرة ﷺ ، ومسلم برقم (٨) عن عمر ﷺ .

٣- أنهم يطيعون الله ولا يعصونه ، فلا تصدر عنهم الذنوب ، قال تعالى : ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم :٦] .

٤- دوام العبادة ؛ فلا فتور ولا سأم ، قال تعالى : ﴿ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾ [الأنبياء :١٩، ٢٠]، وقال تعالى : ﴿ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴾[فصلت :٣٨] .

ثالثاً : من صفات الملائكة :

١- **موصوفون بالعلم والقوة والشدة :** قال تعالى : ﴿ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة :٣٠] ، وقال تعالى : ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴾ [النجم :٥] يعني : جبرائيل عليه السلام ، وقال تعالى في وصف خزنة جهنم : ﴿عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾ [التحريم :٦] .

٢- **موصوفون بعظم الخلق :** فقد رأى النبيُّ ﷺ جبرائيلَ على صورته التي خلقه الله عليها ساداً عِظم خلقه ما بين السماء والأرض[١] ، ورآه ﷺ له ستمائة جناح[٢] ، وفي صفة حملة العرش ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام[٣] .

---

(١) رواه البخاري برقم (٤٦١٢)، ومسلم برقم (١٧٧) . عن عائشة رضي الله عنها .

(٢) رواه البخاري برقم (٤٨٥٦) ، ومسلم برقم (١٧٤) . عن ابن مسعود رضي الله عنه .

(٣) رواه أبوداود برقم (٤٧٢٧) . عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (١٥١) .

٣- **الحسن والجمال** : قال تعالى في جبرائيل ﴿ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ﴾ [النجم :٦] فسّرها ابن عباس وقتادة بالحُسن والجمال في المنظر والخلق والطول، وقالت النسوة صواحب يوسف في جمال يوسف : ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف : ٣١] ، وقد ساق الله تعالى الكلام مساق التقرير .

٤- **أنهم كرام أبرار** : قال تعالى : ﴿ كرام بررة ﴾ [عبس :١٦] .

٥- **الحياء الشديد** : ففي صحيح مسلم قال ﷺ في عثمان ﷺ : « **ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة** »[1] .

رابعاً : دلالة النصوص بشأن الملائكة :

تواترت النصوص من الكتاب والسنة في الخبر عن الملائكة ـ عليهم السلام ـ وعما يتعلق بهم ، ودلت النصوص بشأنهم على أمور :

الأول : أنهم من أعظم خلق الله شأناً ، وأشدّهم وأقواهم خلقة : ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾ [النجم :٥] ، ﴿عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾ [التحريم : ٦] ، ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴾ [الحاقة :١٧] .

الثاني : أنه لا يعلم كيفية خلقهم إلا الله ﴿ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فاطر :١]، ولأنهم من عالم الغيب الذي استأثر الله تعالى بعلمه .

(١) رواه مسلم برقم (٢٤٠١) . عن عائشة رضي الله عنها .

الثالث : أنهم من الكثرة بحيث لا يحصيهم إلا الله - عز وجل - ، قال تعالى : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ [المدثر :٣١] ، وفي الصحيح ذكر النبي ﷺ في السماء السابعة البيت المعمور ، وفيه : « **يطوف به كل يوم سبعون ألف ملك ، ثم لا يرجعون إليه آخر ما عليهم** »(١) .

الرابع : أن الله تعالى قد تعبّدهم بالقيام بأعمال كبيرة جليلة ـ تأتي الإشارة إليها إن شاء الله فيما بعد ـ تدل على عظم شأنهم ، وعلو مقامهم عند الله - عز وجل - .

الخامس : أنهم يقومون بما كلفوا به خير قيام ، في غاية من الطاعة والقوة والأمانة وحسن الأداء، ومع ذلك هم في عبادة عظيمة لله تعالى، فهم يصلون له ويسبحونه ويذكرونه ويستغفرونه ويثنون عليه سبحانه بما هو أهله، قال تعالى: ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم : ٦] ، وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الأنبياء :١٩-٢٠]، وقال تعالى : ﴿ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾ ﴾ [فصلت : ٣٨] .

خامساً : وظائف الملائكة والحكمة من خلقهم :

دلّ الاستقراء والتتبع لنصوص الكتاب والسنة الواردة بشأن الملائكة عليهم السلام بأنهم عباد لله تعالى ، يكلفهم من أمره بما يشاء ، وتكاد

---

(١) رواه البخاري برقم (٣٢٠٧) ، ومسلم برقم (١٦٤) . عن أنس بن مالك رضي الله عنه .

تنحصر وظائفهم وأعمالهم من حيث متعلقها بثلاثة أنواع ، هي حِكم خلقهم:

الأول : عبادة الله تعالى بالإيمان به وحمده وتمجيده والثناء عليه بماهو أهله، وذكره ودعائه واستغفاره والصلاة له ، وهذا وصفهم العام مع ما يكلفون به من مهام ،ومنهم من هذا شأنه أبداً فهم صفوف لا يفترون ، ومنهم سجّد لا يرفعون منذ خلقهم الله ، وقد وردت أحاديث بهذا المعنى احتج بها أهل العلم ، كقوله ﷺ : « **أطّت السماء وحق لها أن تئط، ما فيها شبر** ـ وفي رواية : **أربع أصابع** ـ **إلا وملك قائم أو راكع أو ساجد** ـ وفي رواية ـ : **لا يرفعون رؤوسهم منذ خلق الله السموات والأرض** ـ وفي رواية : **لا يرفعونها إلى يوم القيامة** »[1] .

فإذا رفعوا رؤوسهم نظروا إلى وجه الله - عز وجل - ، فقالوا : سبحانك ما عبدناك حق عبادتك .

الثاني : تدبير أمر الملكوت ـ علوية وسفلية وما بينهما ـ وما فيه من مخلوقات وعوالم غير مكلفة ، المنظورة وغير المنظورة بأمر الله تعالى ، وذلك من جليل حكم خلقهم : ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٦ ﴾ [التحريم : ٦] ، فأعمالهم كثيرة ومسؤولياتهم كبيرة ، وهم مجموعات متنوعة ، لكل مجموعة اختصاص :

---

(١) رواه الترمذي برقم (٢٣١٢) ، وابن ماجه برقم (٤١٩٠) ، وأحمد في المسند (٥/ ١٧٣) . عن أبي ذر رضي الله عنه . وانظر السلسلة الصحيحة للألباني برقم (٨٥٢، ١٠٥٩، ١٠٦٠) والضعيفة برقم (١٧٨٠) .

فمنهم : المكلفون بحمل العرش وعددهم ثمانية .

ومنهم: المكلفون بتبليغ الوحي إلى حيث أمر الله تعالى ورئيس ملائكته جبرائيل .

ومنهم : خزنة الجنة ورئيسهم رضوان .

ومنهم : خزنة النار ورئيسهم مالك .

ومنهم : ملائكة الأرواح ورئيسهم إسرافيل .

ومنهم : ملائكة الأرزاق ورئيسهم ميكائيل .

ومنهم : المكلفون بحفظ السموات .

ومنهم : المكلفون بالرياح والسحاب .

ومنهم : المكلفون بالجبال .

ومنهم : المكلفون بالنبات .

ومنهم المكلفون بالبحار .

ومنهم : المكلفون بأمور الطيور والدواب ، ونحوها من الأمم والعوالم التي لا يحصيها إلا الله تعالى .

الثالث : تدبير أمر بني آدم والصلة الوثيقة بهم في أحوال كثيرة ، في حياتهم وبعد مماتهم، وقد جاءت النصوص بإثبات وظائف جماعات من الملائكة ـ عليهم السلام ـ على التفصيل كما يلي :

١- حفظ بني آدم ، وهو من عمل الملائكة المعقبات .

٢- حفظ أعمال بني آدم ، وهو من عمل الكرام الكاتبين .

٣- السياحة لالتماس مجالس الذكر وحلق العلم .

٤- كُتّاب الناس يوم الجمعة على أبواب المساجد الأول فالأول .

٥- الصلاة على المصلين مدة انتظارهم لصلاة الجماعة .

٦- فتنة الأموات في القبور .

سادساً : وجوب الإيمان بالملائكة ومنزلته من الدين :

جاء الإيمان بالملائكة مقروناً بالإيمان بالله تعالى ، فهو أحد أركان الدين الثابتة بالأدلة القطعية اليقينية من الكتاب والسنة وإجماع السلف الصالح ، قال تعالى : ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ ﴾ [البقرة : ١٧٧] ، الآية .. إلى قوله تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوٓاْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة : ١٧٧]، وثبت في الصحيحين من غير وجه قوله ﷺ ـ إجابة على سؤال جبرائيل له عن الإيمان ـ : «**الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم .. إلخ**»[1] ، والأدلة على هذا الركن كثيرة.

فإنكار الملائكة ـ عليهم السلام ـ وجحود وجودهم كفر بنص التنزيل، قال تعالى : ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا ﴾ [النساء :١٣٦] .

والقول بأن الملائكة عبارة عن قوى الخير الكامنة في المخلوقات قول باطل لا سند له من كتاب ولا سنة ، ومع بطلانه فإنه تنقص للملائكة المقربين وهضم لمكانتهم التي أفصح عنها الله تعالى في الكتاب المبين ،

(١) رواه البخاري برقم (٥٠) عن أبي هريرة ﷺ ، ومسلم برقم (٨) عن عمر ﷺ .

فهو تكذيب بكتاب الله تعالى ، وردّ لسنة نبيه ﷺ واتّباعٌ لغير سبيل المؤمنين ، قال تعالى : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾ [النساء : ١١٥] .

سابعاً : كيفية الإيمان بالملائكة ـ عليهم السلام ـ :

الإيمان بالملائكة هو : الاعتقاد الجازم بوجودهم ، والتصديق التام بما جاءت به الآيات الصريحة والأحاديث الصحيحة بشأنهم ووظائفهم وأعمالهم التي يقومون بها طاعةً لله تعالى وعبوديةً له سبحانه .

ويتحقق الإيمان بأمور :

الأول : التصديق بوجودهم ومادة خلقهم ، وما جاءت به النصوص من صفتهم والحكمة من خلقهم وشأنهم .

الثاني : الإيمان تفصيلاً بمن علمنا اسمه من طريق الوحي على وجه الخصوص مثل : جبرائيل ، وميكائيل ، وإسرافيل ، ورضوان ، ومالك ، ونؤمن إجمالاً بما لم نعلم اسمه منهم .

الثالث : الإيمان بما علمنا من وظائفهم وأعمالهم وما دلت عليه النصوص من اختصاصهم ـ على الوجه الذي ورد ـ واعتقاد أنهم يقومون بما كلفوا خير قيام وأحسنه .

الرابع : الاعتقاد بأنهم عباد مخلوقون مربوبون ليس لهم من خصائص الإلهية والعبادة شيء ، والكفر بعبادة من عبدهم والبراءة منه .

الخامس : التصديق بمقاماتهم العظيمة عند الله تعالى ،وما لهم عنده من الكرامة ، واعتقاد وجوب موالاتهم ومحبتهم ، واعتقاد تفاضلهم في المقامات والمهمات ، والحذر من معاداتهم .

السادس : تنزيههم وتبرئتهم مما زعمه المشركون فيهم من أنهم إناث أو بنات الله ، أو أنهم يشفعون عند الله بغير إذنه ، أو يشفعون لأحد من المشركين به .

* * *

من ثمرات الإيمان بالملائكة

لقد أكثر الله تعالى من ذكر الملائكة ـ عليهم السلام ـ في القرآن ، وأثنى عليهم بكريم الخصال وجليل الأعمال ، وقربهم وطاعتهم لذي الكرم والجلال ، وليس ذلك من باب العلم بالشيء فقط ، ولكن لأجل ما يثمره العلم بهم والإيمان بهم للمؤمن من الثمرات العظيمة العاجلة والآجلة ، فمن ذلك :

١- أن الإيمان بهم من الإيمان بالغيب الذي هو أصل أصول الإيمان بالله تعالى وما جاء عنه سبحانه .

٢- الثقة بسند الرسالة فإن منهم ـ عليهم السلام ـ السفراء بين الله تعالى وبين رسله في تبليغ رسالته ، وهم موصوفون بالغاية من الأمان وكمال الديانة والعصمة من الذنوب ، ومنها الكذب والخطأ .

٣- معرفة علاقتهم بالإنسان وقربهم منه في أحوال كثيرة والحفظ الدائم، وهذا يقتضي الأدب معهم والحياء منهم والأنس بهم وحسن صحبتهم .

٤- التأسّي بهم في دوام طاعتهم لله تعالى وحسن عبادتهم له ودوام ذكرهم له ، وهذا مما يحمل على كمال الاستقامة واستدامة الطاعة .

٥- الحذر من أذيتهم بالأقوال البذيئة أو الأفعال السيئة أو الروائح الكريهة، فإن الملائكة تتأذّى مما يتأذى منه بنو آدم .

٦- طمع المؤمن في استجابة الله تعالى لدعائهم له واستغفارهم له والأخذ بأسباب ذلك من التحقق بالإيمان والمسارعة إلى الخير والاشتغال بالذكر .

٧- اجتناب ما يسبب بعد الملائكة من الشخص أو المكان كالصور والتماثيل وآلات اللهو والكلاب والقاذورات ونحو ذلك مما جاءت النصوص ببعد الملائكة عن الشخص أو المكان بسببه حذراً من أسباب بعدهم عن الملائكة .

٨- الإيمان بعظمة الله تعالى وقوته وقدرته وحكمته في خلق أولئك الكرام على هذه الخلقة الكريمة الحسنة القوية .

٩- شكر الله تعالى على عنايته ببني آدم حيث وكل بهم هؤلاء الملائكة الكرام يحفظونهم ويحفظون عليهم أعمالهم ويعينونهم على عبادة ربهم .

١٠- ملازمة الاستقامة والحذر من مقارفة المعاصي حذراً من أن يكتبوا علينا إثماً أو يشهدوا علينا بمعصية فإنهم شهود مرضيون، وإن العبد إذا ذكر حضورهم معه استحى منهم .

١١- نشاط الهمم والجوارح في فعل الخيرات والمبادرة إلى البر لعلمنا بحضورهم مجالسه وحبهم له ودعائهم لفاعله وإعانتهم له .

١٢- الإلحاح على الله تعالى بدعائه وبالثناء عليه سبحانه رجاءَ موافقة دعائهم واستغفارهم لنا ، فإن الموافقة من أسباب الإجابة .

١٣- الطمأنينة في المواطن التي يحضرونها يصلون على المسلم رجاءَ بركة حضورهم وتحصيل المزيد من دعائهم وصلاتهم .

❋ ❋ ❋

الركن الثالث :

الإيمان بالكتب

أولاً : تعريف الكتب :

الكتب لغة : جمع كتاب ، والكتاب مصدر : كتب، يكتب ، كتاباً ، ثم سُمي به المكتوب .

والكتاب في الأصل اسم للصحيفة مع المكتوب فيها، كما قال تعالى : ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَـٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [النساء :١٥٣]، يعني : صحيفة مكتوباً فيها مثل التوراة .

والمراد بالكتب هنا **اصطلاحاً** : هي : الكتب التي حوت كلام الله تعالى، الذي أوحاه إلى رسله ـ عليهم الصلاة والسلام ـ ، سواءً ما أنزله عن طريق الملَك مشافهة فكتب بعد ذلك كسائر الكتب ، أو ما نزل مكتوباً من عند الله تعالى كالتوراة التي نزلت مكتوبة في الألواح ، كتبها الله تعالى بيده .

ثانياً : وجوب الإيمان بالكتب ومنزلته من الإيمان :

الإيمان بالكتب أصل من أصول الإيمان ، وركن من أركانه ، فلا يتحقق إيمان عبد حتى يؤمن بها ، ولهذا أمر الله تعالى بالإيمان بها ، فقال : ﴿ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ﴾ [النساء : ١٣٦] الآية ، فأمر سبحانه عباده المؤمنين بالإيمان والتصديق بجميع شرائع الإيمان وشُعبه وأركانه ، فيؤمنوا بالله ورسوله وهو محمد ﷺ ، والكتاب الذي نزل عليه وهو القرآن ، والكتاب الذي

أنزل من قبل وهو جميع الكتب السابقة ـ والتي منها صحف إبراهيم والألواح التي هي توراة موسى ـ التي أنزلها الله على المرسلين من قبل ، فمن كفر بشيء من ذلك ومنه الكتب فقد ضل ، ولهذا قال سبحانه : ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء : ١٣٦] ، فالكتاب اسم جنس يشمل جميع الكتب المنزلة على الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ من ربهم ، والتي خُتمت بآخرها وهو القرآن المهيمن على ما قبله من الكتاب .

ولتقرير الإيمان بالكتب كلها أمر الله تعالى عباده المؤمنين أن يخاطبوا أهل الكتاب بقوله : ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة :١٣٦] ، فتضمنت الآية إيمان المؤمنين بما أنزل عليهم بواسطة محمد ﷺ ، وما أنزل على أعيان النبيين المذكورين في الآية ، وما أنزل على بقية الرسل في الجملة، وأنهم لا يفرقون بين الرسل في الإيمان ، فلا يؤمنون ببعضهم دون بعض ، كصنيع الضُّلاّل من أهل الكتاب؛ بل يؤمنون بجميع الرسل، وبكل ما أنزل الله تعالى من الكتب .

ومن السنة حديث جبريل المشهور ، وفيه الإيمان بالكتب ، قال ﷺ : « **الإيمان أن تؤمن : بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وبالقدر خيره وشره** »[١] . الحديث ، فذكر النبي ﷺ في إجابته الإيمان

---

(١) رواه البخاري برقم (٥٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه ، ومسلم برقم (٨) عن عمر رضي الله عنه .

بالكتب ، فدل على وجوب ذلك مع بقية أركان الإيمان ، فتقرر أن الإيمان بجميع الكتب ركن من أركان الإيمان بالله تعالى ، لا يصح الإيمان بدونه ، ولا يقبل العمل إلا به .

ثالثاً : كيفية الإيمان بالكتب :

هو اعتقاد أن لله تعالى كتباً أنزلها على رسله هدايةً لعباده ، متضمنةً لأصول دينه وقواعد شريعته ، وكليات الأخلاق التي يحبها الله سبحانه ويرضاها ، ومهمات مما نهى عنه جل ذكره .

*** وتحقيق الإيمان بالكتب يكون بأمور :**

١- الإيمان بما سمى الله منها تفصيلاً : كصحف إبراهيم ، وصحف موسى - وهي التوراة - ، والزبور ، والإنجيل ، والقرآن ، وإجمالاً بما لم يسمه منها .

٢- اعتقاد أنها كلها كلام الله تعالى ، تكلم بها حقيقة كما شاء بكيفية لا يعلمها إلا هو سبحانه ، وأنها حق وصدق وهدى لمن خوطب بها من الأمم ، ومشتملة على الشرائع التي تعبّد الله المخاطبين بها .

٣- اعتقاد أنها كلها دعوة إلى عبادة الله تعالى ، وتفصيل لحقه على خلقه وحقوق عباده بعضهم على بعض ، وفيها نهي لهم عن مخالفته ، وذكر ثواب المطيعين وعقوبات العاصين .

٤- اعتقاد أنها يصديق بعضها بعض ، فلا تناقض بينها ولا تعارض ، فإنها سالمة من ذلك ، فإن وجد فيها ما يوهم التعارض والتناقض فهذا جاء من أفهام بعض الناس وعقولهم ، وليس من جهتها .

٥- أن الحجة قامت بها على المخاطبين بها ، واتضحت لهم بها المَحَجَّة ـ الطريق أو السبيل الموصلة إلى الله تعالى ـ، وزالت بها المعذرة، فيجب العمل بها ، ولا يحل لهم مخالفتها ، ولا التحاكم إلى غيرها ، ولا تعطيلها ؛ بل يجب عليهم قبولها والعمل بهداها والحذر من مخالفتها .

٦- أن الكتب الأولى كانت موجهة لأزمنة محدودة، ولطوائف معينة، وأن بعضها ينسخ بعضها ، وأن المتأخر منها ينسخ المتقدم من حيث الأحكام .

٧- الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى نسخ جميع الكتب السابقة بالقرآن العظيم المشتمل على أحسن ما فيها ، وجعل الله فيها أحكاماً مناسبة للأمة إلى أن يأتي الله بأمره ، وصانه عما في الكتب السابقة من الآصار والأغلال ، وما لا يناسب الأمة من أحكام الكتب السابقة ، وحفظه من أن تمتد إليه يد التحريف ، فأغنى به سبحانه عنها ،وجعله حاكماً ومهيمناً عليها، فلا يسع أحداً من أهل الكتب السابقة ولا غيرهم أن يعبد الله تعالى بعد نزول القرآن بغير ما جاء به ، ولا أن يتحاكموا إلى غيره .

ومما نُصَّ عليه من الكتب المنزلة وسُمِّي :

١- **صحف إبراهيم** : وكانت حكماً كلها ، وفيها عناية بالتوحيد وأصول الملة ، والمباينة للشرك وأهله .

٢- **صحف موسى** : وهي التوراة ، وإنما سميت صحفاً لأنها نزلت مكتوبة كتبها الله تعالى بيده ، وفيها العناية بالأحكام أكثر ، وقد بقيت الشريعة العامة لبني إسرائيل حتى نسخت بالقرآن العظيم .

٣- **الزبور** : وأنزل على داود ـ عليه السلام ـ ، وكانت العناية فيه بالثناء على الله تعالى ، والدعوات والأذكار .

٤- **الإنجيل** : وأنزل على عيسى ـ عليه السلام ـ وكان من جملة ما اشتمل عليه العناية بالأخلاق : كالتواضع والصبر التسامح والصفح وحسن الظن ، كما يفهم ذلك مما ورد بشأنه من النصوص .

٥- **القرآن** : وهو آخرها ، والمهيمن عليها ، والخاتم لها ، وأنزل على محمد ﷺ، والتركيز فيه على جميع ما سبق، ولذا نسخها الله وأغنى به عنها.

رابعاً : تحقيق الإيمان بالقرآن العظيم :

القرآن الكريم هو أعظم كتب الله المنزلة على رسله ، وأبلغ آياته ، وأعظم أسباب هدايته ، وآخر الكتب المنزلة على الرسل ، ولا ينزل بعده كتاب ينسخه ، فهو آية الله إلى آخر الدهر .

*** ويتحقق الإيمان بالقرآن بأمور ، منها :**

١- أنه كلام الله تعالى حروفه ومعانيه، تكلم الله به حقيقة، ومنزل غير مخلوق .

٢- تلاوته على أحسن وجه يستطاع وتدبره وفهمه والعمل به والدعوة إلى الله تعالى على هداه ، وكما بين نبيه ﷺ واعتقاد أنه بيان الله تعالى لعباده وهدى ورحمة .

٣- اعتقاد عموم دعوته وشمول شريعته التي جاء بها لعموم الثقلين ،

فلا يسع أحداً من الجن والإنس إلا الإيمان به، وأن يعبدوا الله بشريعته ، قال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان:١]، وقال تعالى : ﴿ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾ [الأنعام :١٩] .

٤- اعتقاد نسخه لجميع الكتب السابقة ، فلا يجوز لأهل الكتاب ولا لغيرهم أن يعبدوا الله بعد نزوله بغيره ، فلا دين إلا ما جاء به ، ولا شريعة إلا ما شرع الله فيه، فالحلال ما أحلّه، والحرام ما حرّمه قال ﷺ: «**والذي نفسي بيده لو كان أخي موسى حياً ما وسعه إلا أن يتبعني**»[1] .

٥- سماحة شريعته ، وبراءتها من الآصار والأغلال التي كانت على الأمم الماضية .

٦- أن القرآن هو الكتاب الوحيد الذي تكفّل الله بحفظ لفظه ومعناه من التحريف اللفظي والمعنوي ، قال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت : ٤٢] .

٧- أنه اشتمل على التحدي به ، بل هو الآية العظمى الذي أعجز الله بها الجن والإنس عن أن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ، قال تعالى : ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء :٨٨] .

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (٣/ ٣٨٧) ، عن جابر بن عبدالله ﷺ .

٨- أن الله تعالى بيَّن في القرآن كل ما يحتاج الناس إليه في أمر دينهم ودنياهم، ومعاشهم ومعادهم ، قال ابن مسعود رضي الله عنه : « أنزل في هذا القرآن كل علم ، وكل شيء قد بيَّن لنا في القرآن ».

٩- أن الله تعالى يسره للذكر والتدبر وهذا من أعظم خصائصه ، فلولا أن الله يسره لم يستطع أحد من البشر أن يتكلم بكلام الله ، لكن الله يسّره للذكر والعمل ، فيسر جمعه، ويسر قراءته، ويسر تفسيره وبيانه، وأيضاً يسره تعالى للتلاوة وفهم المعنى للتفكير والتدبر والاتعاظ، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [القمر :١٧] .

١٠- أنه اشتمل على خلاصة ما في الكتب السابقة من الأحكام والآداب والأخلاق ، فقد تضمن أصول الملة وقواعد الشريعة وأمهات الأخلاق وجوامع الآداب .

١١- أنه اشتمل على أخبار جملة من الرسل والأمم الماضية ، وتفصيل ذلك بشكل لا نظير له في كتاب سابق ، قال تعالى : ﴿ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴾ [هود : ١٠٠] ، وقال تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴾ [طه :٩٩] .

١٢- أن القرآن هو آخر الكتب نزولاً، فهو خاتمها، والشاهد عليها ، والحاكم عليها ، قال تعالى : ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ﴾ [آل عمران : ٣، ٤]، وقال تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ

وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [المائدة :٤٨] .

١٣- أنه أعظم آيات الأنبياء والمرسلين عليهم من ربهم أفضل الصلاة وأزكى التسليم ، كما ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ قال : «مَا مِنَ الأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إلاَّ أُعْطِيَ مَا مِثْلهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْياً أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعاً يَوْمَ الْقِيَامَةِ »(١) .

١٤- أنه الكتاب الذي لا يأتي بعده كتاب ينسخه ، فلا تبطل أحكامه ، ولا تتبدل شريعته ، ولا يترك العمل به حتى يأتي الله بأمره فيرفعه إليه كما بدأ منه .

١٥- أن النبي ﷺ قد بيَّن القرآن بأقواله وأفعاله وتقريراته وأحواله ، وإنكاره على من خالف شيئاً من القرآن في حياته فلم يَمُتْ ﷺ إلا وقد بيَّن كل ما تحتاج إليه الأمة من القرآن بياناً قامت به الحجة ، وحصل به التبليغ ، حفظ ذلك من حفظه ، ونسيه من نسيه .

* * *

(١) البخاري برقم (٤٥٩٨) ، ومسلم برقم (٢١٧) .

من ثمرات الإيمان بالكتب

للإيمان بكتب الله المنزلة ثمراتٌ طيبةٌ ، منها :

١- العلم بعناية الله تعالى بعباده ؛ حيث أنزل لكل قوم كتاباً بلسانهم يهديهم به إلى عبادته .

٢- العلم بحكمة الله تعالى في شرعه ؛ حيث شرع لكل قوم ما يناسب أحوالهم ، كما قال تعالى : ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [المائدة :٤٨] .

٣- شكر نعمة الله على ما بيَّن من العبادة وعلى ما أعظم من المثوبة .

٤- عبادة الله تعالى على بصيرة بالكتاب المنزل وتأسياً بالنبي المرسل الذي أوجب الله عليه بيان كتابه وهدايةأمته إليه .

* * *

الركن الرابع :

الإيمان بالأنبياء والمرسلين صلى الله عليهم أجمعين

أولاً : تمهيد :

أ- تعريف النبي والرسول :

(١) **النبي في اللغة :** مشتق من النبأ ، وهو الخبر ، قال تعالى : ﴿ عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢ ﴾ [النبأ :١-٢] .

وإنما سُمي النبي نبياً لأنه منبأ ، أي : مُخْبَر من الله ـ عز وجل ـ أي : يُوحي الله إليه نبأ من شرعه ، قال تعالى : ﴿ قالت من أنبأك قال نبأني العليم الخبير ﴾ [التحريم :٣] ، وهو أيضاً : مُخبِر عن الله ـ عز وجل ـ بما يوحيه الله إليه من أمره وشرعه ، قال تعالى : ﴿ ۞ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الحجر : ٤٩] .

وقيل : النبي مشتق من النَّبْوَة ، وهي : المكان المرتفع من الأرض ، فإن العرب تطلق لفظ النبي على علم من أعلم الأرض التي يُهتدى بها .

والربط بين لفظ النبي والمعنى اللغوي واضح ، وذلك لأن النبي ذو رفعة عند الله تعالى في الدنيا والآخرة ، وذو شرف وسؤدد في قومه ، وهو مُنبّأ من الله تعالى بأمره الديني الشرعي الذي يهتدي به العباد ويسعدوا في دنياهم وأخراهم .

(٢) **والنبي اصطلاحاً :** هو الذي ينبئه الله تعالى ، أي : يوحي إليه أن يعمل بشريعة من قبله ، ويبعثه الله إلى قوم مؤمنين بشريعة سابقة ، ليبطل

ما ابتدعوه ، ويصحح ما أخطأوا فيه ، ويحكم بينهم فيما اختلفوا فيه ، ويكون قدوة لهم في اتباع الرسول السابق ، فهو يحكم بشريعة من قبله، وقد يُوحى إليه وحي خاص في واقعة معينة .

فالأنبياء يأتيهم وحي من الله تعالى فيما يفعلونه ويأمرون به المؤمنين بهم، لكن لا ينزل عليهم كتاب ولا يرسلون إلى قوم كفار مخالفين لأمر الله ليبلغوهم رسالة من الله إليهم ، إنما يُرسلون إلى قوم موافقين مخطئين في بعض الأمور .

(٣) الرسول في اللغة : مأخوذ من البعث وهو الإرسال والتوجيه، فالرسول هو المبعوث الموجه برسالة ، قال تعالى عن ملكة سبأ : ﴿ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴾ [النمل : ٣٥] .

فالرسلُ ـ عليهم الصلاة والسلام ـ إنما سُموا رسلاً لأنهم بُعثوا من قبل الله تعالى برسالة حملوها وأمروا بتبليغها للناس، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل :٣٦]، وقال تعالى : ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ﴾ [المؤمنون : ٤٤] أي : بعثناهم يتبع بعضهم بعضاً .

(٤) وأما الرسول في الاصطلاح : فهو الذي ينبئه الله بوحيه الشرعي ثم يوجهه إلى من خالف أمره، أو على قوم لم يأتهم نذير من قبله .

ب- الفرق بين النبي والرسول :

دلَّ التتبُّع والاستقراء لأحوال النبيين والمرسلين ـ عليهم من ربهم

أفضل الصلاة وأزكى التسليم ـ والنصوص الواردة بشأنهم على اشتراك النبيين والمرسلين في أمور :

١- **الوحي** : قال تعالى : ﴿ ۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ ﴿٥١﴾ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا ﴾ [النساء :١٦٣] .

٢- **جنس الإرسال** : قال تعالى : ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَـٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَـٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [الحج :٥٢] .

٣- أن الأنبياء ـ وكذلك بعض الرسل ـ لا ينزل عليهم كتاب ؛ بل يحكمون بكتاب سابق ، قال تعالى : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ ﴾ [المائدة : ٤٤] .

ولكن دلت نصوص أخرى على وجود فرق بين المرسلين والنبيين :

أ- فقد دل قوله تعالى : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي﴾ [الحج :٥٢] على المغايرة بين النبيين والمرسلين؛ لأن العطف في اللغة يدل على المغايرة ، أي : أن الذي بعد الواو مغاير للذي قبلها .

ب- وكذلك أن الله تعالى وصف بعض أنبيائه بالنبوة فقط في مواضع أخرى، كما قال تعالى عن موسى : ﴿ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴾ [مريم :٥١] ، وقال عن إسماعيل : ﴿ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴾ [مريم : ٥٤] ، وقال عن إدريس:

﴿ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴾ [مريم : ٥٦] ، وقال عن إسحاق : ﴿ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [الصافات :١١٢] .

ج- ومن الفرق بين الرسل والأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ ما يلي :

١- أن النبي يُوحى إليه ـ غالباً ـ بشرع سابق ، والرسول ـ غالباً ـ يُوحى إليه بشرع جديد .

٢- أن النبي يُرسل على قوم مؤمنين برسالة سابقة ، والرسول يرسل على قوم لم تبلغهم رسالة من قبله ، أو بلغتهم ، ولكن كفروا فخالفوا أمر الله تعالى ، ومما يوضح ذلك أن إسحاق وإسماعيل وهما أخوان من ذرية إبراهيم ـ عليهم الصلاة والسلام ـ ، لكن إسحاق خَلَف أباه إبراهيم في مقر إقامته بالشام فصار نبياً لأتباع إبراهيم وفي رسالته ، وإسماعيل أرسل إلى « جُرْهُم » الذين لم تبلغهم رسالة إبراهيم قبله .

٣- أن الرسول أفضل من النبي بالإجماع ، لتميّزه بالرسالة المطلقة التي هي أفضل من النبوة ، فإن النبوة رسالة مقيدة .

فاشتركا جميعاً في أن كل منهما منبأ بشرع من الله تعالى ، ومرسل إلى قومه ، لكن النبي بُعث إلى قوم لم تبلغهم رسالة، أو بلغتهم وكفروا بها، فمهمة الرسول أعظم وأكبر من مهمة النبي ، ولذا كان الرسل أفضل من الأنبياء ، وفي كلٍّ فضل عليهم الصلاة والسلام ـ .

ثانياً : وجوب الإيمان بالرسل ومنزلته في الدين :

الإيمان بالرسل واجب من واجبات الدين الحتمية ، وركن عظيم من أركان الإيمان ، وأصل من أصوله المنصوص عليها من القرآن والسنة ،

والتي لا يتحقق الإيمان إلا بها ، قال تعالى : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ ﴾ [البقرة :٢٨٥] ، فذكر سبحانه أن الإيمان بالرسل من جملة ما آمن به الرسول والمؤمنون، وجعل سبحانه الإيمان بالرسل براً وصدقاً وتقوى، فقال تعالى : ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ ... إلى قوله : أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة : ١٧٧] .

وصحّ عن النبي ﷺ قوله : **« الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره »**(١) .

فجعل الإيمان بالمرسلين من أركان الدين، ورتب سبحانه على ذلك الأجر والمغفرة والرحمة ، فقال : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾ ﴾ [النساء :١٥٢] .

ثالثاً : خطر تكذيب أحد من الرسل :

جعل الله سبحانه تكذيب واحد من المرسلين ضلالاً وتفريقاً بينهم، وتكذيباً بهم جميعاً ، وكفراً بالله تعالى محققاً ، فقال سبحانه : ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ [النساء: ١٣٦] ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن

---

(١) رواه البخاري برقم (٥٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه ، ومسلم برقم (٨) عن عمر رضي الله عنه .

يُفَرِّقُوا بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ ﴾ [النساء : ١٥٠، ١٥١] وقال تعالى : ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الشعراء :١٠٥] .

وأخبر سبحانه على التفصيل أن كل أمة كذّبت رسولها فقد كذبت المرسلين ، كما في سورة الشعراء[١] ، مما يدل على أن تكذيب واحد من المرسلين يعتبر تكذيباً لهم جميعاً ، وكفراً برسالاتهم، وبالله الذي أرسلهم تبارك وتعالى .

رابعاً : المراد بالإيمان بالأنبياء والمرسلين وبم يتحقق :

الإيمان بالأنبياء والمرسلين ـ عليهم أفضل الصلاة وأزكى التسليم ـ هو الاعتقاد الجازم بنبوتهم ورسالتهم وما جاءت به النصوص بشأنهم .

ويتحقق الإيمان بهم بأمور ، منها :

١- اعتقاد أن الله تعالى اصطفاهم واجتباهم على علم ليكونوا سفراء بينه وبين عباده في تبليغ رسالاته ، قال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ ﴾ [الحج :٧٥] ، وقال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ۗ ﴾ الآية [الأنعام :١٢٤] .

٢- اعتقاد صدقهم ، وتصديق الله تعالى لهم فيما جاءوا به من عنده ، وأنهم ما قالوا عليه إلا الحق .

---

(١) في قوله تعالى : ﴿ كذبت قوم نوح المرسلين ﴾ [الشعراء :١٠٥] ، وقوله : ﴿ كذبت عادٌ المرسلين ﴾ [الشعراء :١٢٣] . وغيرها من الآيات .

٣- الإيمان بأنهم أشرف الأمم أنساباً ، وأطيبهم أعراقاً ، وأزكاهم نفوساً، وأكرمهم أخلاقاً ، وأعظمهم شرفاً وسؤدداً .

٤- أنهم بلّغوا رسالاتهم إلى أممهم ، ولم يكتموا منها شيئاً ، ونصحوا لمن أرسلوا إليهم ، وبيّنوا ما أرسلوا به بياناً شافياً ، قامت به عليهم الحجة، واتضحت به المحجة ، وزالت به المعذرة ، ووجب على الأمم العمل به .

٥- اعتقاد عصمتهم عن الخطأ فيما بلغوا عن ربهم من الدين ، وكذلك ما أرشدوا به أممهم من أمر الدنيا جازمين، وكذلك اعتقاد عصمتهم من كبائر الذنوب ، وأما الصغائر فقد تقع منهم لكنهم لا يقرون عليها ؛ بل ينبهون بشأنها ويوفقون للمبادرة إلى التوبة منها .

٦- اعتقاد فضلهم ، وتفضيل الله تعالى بعضهم على بعض على نحوما جاءت به الآيات والأحاديث الصحيحة ، قال تعالى : ﴿ ۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾ [البقرة :٢٥٣] .

٧- اعتقاد أنهم أكمل الخلق علماً وعملاً ، وأبرّهم وأرحمهم ، وأن الله برأهم من كل عيب خِلْقِي وكل خُلُق رذيل .

٨- وجوب الاهتداء بهديهم على أممهم ، وكمال التأسّي بهم ، وطاعتهم، واتباع من أرسل إلينا منهم وهو النبي محمد ﷺ.

خامساً : من خصائص النبي ﷺ:

للنبي ﷺ خصائص كثيرة دلت على شرفه وكرامته على ربه سبحانه ، وعلى أنه خير خلق الله تعالى وأحبهم إليه ، وقد أفرد تلك الخصائص جماعة من مصنفي أئمة أهل العلم في كتب مستقلة ، فمن تلك الخصائص :

١- ختم النبوة به، فإنه ﷺ خاتم النبيين وآخر المرسلين، لقوله تعالى: ﴿ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب :٤٠] ، وصحّ عن النبي ﷺ قوله : «**وخُتم بي النبيون**»[١] .

وإذا خُتمت النبوة ختمت الرسالة ، فلا يُبعث بعده نبي ولا رسول ، ومن اعتقد أنه يبعث بعده نبي أو رسول فقد كفر ، لكن جاءت النصوص الثابتة أن عيسى ابن مريم ـ عليه السلام ـ ينزل في آخر الزمان خليفة للنبي ﷺ في أمته ، وحاكماً بشريعته ، « **فيقتل الدجال، ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ، ولا يقبل إلا الإسلام** »[٢] .

٢- أنه سيد المرسلين ، لقوله ﷺ: « **أنا سيد الناس** »[٣] ، وفي حديث آخر « **سيد ولد آدم** »[٤] ، ولصلاة النبيين والمرسلين خلفه ﷺ ليلة الإسراء

---

(١) رواه البخاري برقم (٣٥٣٣) ، ومسلم برقم (٢٢٨٧) عن جابر ﷺ ، ولفظه : «جئتُ فختمت الأنبياء» .

(٢) رواه البخاري برقم (٢٢٢٢) ، ومسلم برقم (١٥٥) ، (٢٤٢) عن أبي هريرة ﷺ .

(٣) في حديث الشفاعة الطويل ، رواه البخاري برقم (٣٣٦١) ، ومسلم برقم (١٩٤) عن أبي هريرة ﷺ .

(٤) رواه مسلم برقم (٢٢٧٨) عن أبي هريرة ﷺ .

والمعراج في المسجد الأقصى ، فقد جمع الله تعالى أرواحهم في مثال أجسادهم وصلوا خلف رسول الله ﷺ ، مؤتمين به ـ عليهم الصلاة والسلام جميعاً ـ .

٣- أنه لا يتم إيمان عبد حتى يؤمن برسالته وعمومها لجميع الناس، لقوله تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ [النساء :٦٥] ، ولقد أخذ كل نبي من أنبياء الله ورسله ـ عليهم الصلاة والسلام ـ على قومه ، « أن إذا بعث فيكم محمد ﷺ لتؤمنن به ولتتبعنه » تحقيقاً لما أخذ الله عليه من الميثاق بقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ ﴾ [آل عمران :٨١] .

ومن أدلة عموم رسالته قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ ﴾ [سبأ : ٢٨]، وقوله تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف : ١٥٨] ، وقوله ﷺ : « **وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة ، وبُعثتُ إلى الناس عامة** »[١] .

٤- أنه صاحب الشفاعة العظمى ، فلا يقضى بين الناس إلا بشفاعته، وهي الشفاعة العظمى التي يتخلى عنها أولو العزم من الرسل حتى تنتهي إليه، فيشفع فيشفّعه الله ، ويأتي للفصل بين عباده .

٥- أنه أول من يستفتح باب الجنة فيفتح له ، وأول من يدخلها ، لا

(١) رواه البخاري برقم (٣٣٥) ، ومسلم برقم (٥٢١) عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه .

يدخل أحدٌ قبله .

٦- أنه صاحب لواء الحمد يحمله ﷺ يوم القيامة ، ويكون الحامدون تحته، لحديث : « **وبيدي لواء الحمد ولا فخر ، وما من نبي يومئذ ، آدم فمن سواه ، إلا تحت لوائي** »[1] .

٧- أنه صاحب المقام المحمود ، أي : العمل الذي يحمده عليه الخالق والمخلوق ، وهذا المقام هو ما يحصل من مناقبه يوم القيامة .

٨- وأيضاً فهو صاحب الوسيلة ، وهي المنزلة العالية في الجنة ، لا تنبغي إلا لعبد ، قال ﷺ: « **وأرجو أن أكون أنا هو ، فمن سأل الله لي الوسيلة حلَّتْ له الشفاعة يوم القيامة** »[2] .

سادساً : من أدلة صدق الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ :

من عقيدة الإيمان برسل الله ـ عليهم الصلاة والسلام ـ : اعتقاد أنهم صادقون فيما جاءوا به من ربهم ، مصدوقون فيما أوحي إليهم ، مصدقون من الله على صدق دعوتهم، ولذلك دلائل كثيرة عرفها العقلاء من قومهم وممن جاء من بعدهم ، ومن ذلك :

١- شهادة الله تعالى لهم بالصدق والصديقية ، وكفى بالله شهيداً ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ [الزمر :٣٣] ، ووصف سبحانه عدداً من

---

(١) رواه الترمذي برقم (٣٦١٥)، وأحمد في المسند (١/ ٢٨١) عن أبي سعيد ﷺ . قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح . وصححه أحمد شاكر في تحقيقه للمسند برقم (٢٥٤٦) .

(٢) رواه مسلم برقم (٣٨٤) عن عبدالله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ .

رسله بالصديقية بقول : ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴾ [مريم :٤١، ٥٦] ، أي : كامل التصديق فيما جاءه من ربه، والصدق في دعوته لقومه .

٢- تأييد الله لهم على دعواهم الرسالة بالحجج الشرعية والآيات الكونية، كالكتب المنزلة عليهم ، والآيات التي جاءوا بها ، مثل سفينة نوح ـ عليهم السلام ـ ، ومثل تحدي هود ـ عليه السلام ـ وهو واحد لقومه وهم جماعة كثير متجبرون شديدةٌ خِلقَتهم وقوتهم ، فلم يبالي بهم ولم يصبه منهم أذى ، وكذلك عصا موسى ـ عليه السلام ـ التي كانت آية بينة ، لها شأن ومواقف عظيمة مع السحرة ، وفي ضرب البحر فانفتح اثني عشر طريقاً ، وضرب بها الحجر فانفجر اثنتي عشرة عيناً ، وكذلك ما جاء به عيسى ـ عليه السلام ـ من الآيات العظيمة ، حيث كان يبرئ الأصم والأخرس والأعمى والأبرص ويحيي الموت بإذن الله تعالى إلى غير ذلك ، وكذلك انشقاق القمر لمحمد ﷺ ، والقرآن العظيم الذي جاء به محمد ﷺ ، وهو أعظم آيات الأنبياء والمرسلين التي تحدَّوا بها أممهم ، وظهر بها صدق نبوتهم .

٣- ما أخذ الله به المكذبين للرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ من ألوان العقوبات التي جعلتهم للمعتبرين من أبلغ العظات .

٤- أنهم أحسن الناس طريقة ، وأصدقهم لهجة ، وأكثرهم وقاراً ، وأبعدهم عن الطيش ، وأزهدهم في المال والجاه، وأصبرهم على البلايا والشدائد ، وأعدلهم حكماً ، فما جاروا في حكم على عدو ، ولا

شهدوا بغير الحق لصديق .

٥- معاداتهم لقراباتهم وأرحامهم المخالفين لهم من أجل ربهم ، فآثروا الحق على الخلق، فتركوا مناهج الآباء وما عليه العشيرة فوقعوا من أجل ذلك في المخوف، وصبروا على الحتوف .

٦- إجماع مواليهم وعقلاء أعدائهم على أن الرسل والأنبياء ـ عليهم السلام ـ كانوا أعقل الناس ، وأوقر الخلق ، حتى اعترف عقلاء الكفار بحسن تدبيرهم وسدادهم ، وأنهم جاءوا بشرائع حكيمة استمالوا بها خلائق ودانت لهم بها عوالم .

٧- تحقق أغراضهم وأهدافهم بالنصر والعواقب الحسنة ، فإن الرسل تبتلى ثم تكون لهم العاقبة ، وهكذا لهم أحسن العواقب وأكرم الجزاء في الآخرة ، قال تعالى : ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَـٰدُ﴾ [غافر :٥١] ، وقال تعالى في حق نبيه ﷺ : ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ۝ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ [الضحى:٤،٥].

سابعاً : فائدة في آيات النبوة :

الحق أن يُقال : أيَّدَ الله تعالى رسله بأنواعٍ من الآيات لا المعجزات ، وذلك لما يلي :

١- أن ذلك نص الوحي من القرآن والسنة، كقوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَـٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا الْآيَـٰتُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [العنكبوت :٥٠] ، وقوله ﷺ: « **ما بعث الله نبياً قبلي إلا آتاه من الآيات ما**

آمن على مثله البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلي »[١] .

٢- ولأن الآيات أدلّ على المعنى المقصود من المعجزة ، فإن آيات الله تعالى هي : العلامات الدالة عليه ، وعلى صدق رسله ، وتأييده لهم .

٣- ولأن الآيات لا تكون إلا على يدي النبي والرسول، أما المعجزات وخوارق العادات فقد تقع للساحر والمشعوذ والكاهن وأشباههم من الدجالين.

٤- والآيات الكونية متعلقة بالخلق والتكوين ، مثل الليل والنهار، ولا يستطيع الخلق أن يفعلوها ، ولا الإلحاد فيها بأن ينسبوها إلى أحد غير الله تعالى استقلالاً أو مشاركة .

٥- والآيات الشرعية التي هي القرآن مع أنها كلام من حروف وكلمات وجمل منظومات إلا أن الله تعالى تحدى البشر أن يأتوا بمثلها من حسن النظم وجزالة المعنى ، وبما اشتملت عليه من الخبر الصادق والوعد المحقق والحكم المحكم وأنباء الغيب ، إلى غير ذلك من وجوه التحدي بها لمن جاءت بلغتهم ولسانهم .

❊ ❊ ❊

---

(١) رواه البخاري برقم (٤٩٨١) ، ومسلم برقم (١٥٢) عن أبي هريرة ﷺ .

من ثمرات الإيمان بالرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ :

١- العلم برحمة الله تعالى وعنايته بعباده بإرسال الرسل ليدعوهم إلى عبادة الله تعالى ويعرفوهم كيفيتها .

٢- شكر الله تعالى على هذه النعمة وهي إرسال الرسل لهداية الناس إلى عبادة الله تعالى التي هي سبب السعادة في الدارين : ﴿ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا ﴾ [البقرة :١٥١] .

٣- العمل لله تعالى على بصيرة عملاً بالكتاب المنزل وتأسياً بالنبي المرسل.

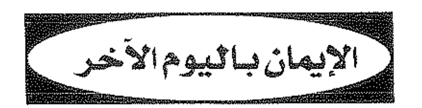
٤- محبة رسل الله ـ عليهم الصلاة والسلام ـ لما يعلم من حب الله تعالى إياهم واصطفائهم لرسالاته لما فيهم من اتباع الحق والرحمة والنصح للخلق .

٥- التأسّي بهم في الدعوة إلى الله تعالى في حسن بيانهم وعظم حلمهم وكمال صبرهم على أذى قومهم ونصحهم لهم في سائر الأحوال .

٦- اليقين بحسن العاقبة للمتقين وجزيل المثوبة للصابرين المحسنين، كما تبيّن ذلك من قصص دعوتهم وما آل إليه أمرُهم وأتباعهم وأمر خصومهم .

***

الركن الخامس :



* أولاً : تعريف اليوم الآخر :

اليوم الآخر هو : يوم القيامة ، يوم البعث والقيام لرب العالمين ، سُمي اليوم الآخر لأنه يأتي بعد هذه الدنيا ، ويسمى يوم القيامة لقيام الناس فيه لرب العالمين ، وله أسماء عديدة ، كل اسم يدل على حدث فيه أو حال من أحوال الناس فيه ، وكلها تدل على عظمة شأنه وخطورة إنكاره والكفر به، وفيها تذكير بأهواله وتنبيه على الاستعداد له .

* ثانياً : منزلة الإيمان باليوم الآخر :

الإيمان باليوم الآخر هو أحد أركان الإيمان ، وغالباً يذكر هو الخامس منها، وقد دلّت النصوص على فلاح من آمن به وعمل له ـ مخلصاً لله تعالى بما شرع ـ ، وعلى كفر من أنكره وجحده ، قال تعالى : ﴿ وَلَكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ الآية [البقرة :١٧٧]، وقال تعالى : ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ [النساء :١٣٦] .

* ثالثاً : كيفية الإيمان باليوم الآخر :

الإيمان باليوم الآخر هو التصديق بمجيئه وما يكون فيه والحكمة منه على النحو الوارد في الكتاب والسنة، فيتضمن الإيمان باليوم الآخر أموراً لا يتحقق الإيمان به إلا بالتصديق بها واعتقادها والعمل بمقتضاها، وهي :

١- كيفية مجيء الملائكة إلى من حضره الموت ، وكيفية قبض روحه ، وأين يذهب بها بعد ذلك .

٢- السؤال في القبر - أو فتنة القبر - ، وما جاء في صفته ونتيجته التي تترتب عليه ، فيكون عليها مستقبل الميت .

٣- حال الميت في القبر ومدة لبثه فيه ، وعلاقة روحه بجسده ، وما جاءت به النصوص من نعيم المثبَّتين وعذاب المضلين .

٤- أشراط الساعة وعلاماتها الكبار والصغار .

٥- البعث ، وهو إحياء الموتى بالنفخ في الصور النفخة الثانية، فتعاد الأبدان ، وتنفخ فيها أرواحها ، وتنشق عنها القبور ، ويقوم الناس لرب العالمين .

٦- الحشر ، وهو جمع الناس في موقف القيامة في موقف واحد، وصفته وحال الناس فيه .

٧- الحساب ، وهو العرض على الله تعالى ، وتقرير المؤمنين ، ومناقشة الكافرين كل بعمله .

٨- الكتب وصحف الأعمال وكيفية أخذ الناس لها .

٩- الموازين وصفتها ونتيجتها .

١٠- الحوض وصفته ، وصفة الورود عليه ، ومن يطرد عنه .

١١- الصراط وصفته ، وحال مرور الناس عليه .

١٢- الشفاعة وأنواعها .

١٣- الإيمان بالجنة والنار، وما جاء من صفتهما وحال أهلهما فيهما، وأنهما المآل الأبدي للجن والإنس .

*** رابعاً : الحكمة من مجيء اليوم الآخر :**

لمجيء اليوم الآخر حكم تضمنت الإشارة إليها بعض الآيات المحكمات كقوله تعالى : ﴿ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [النحل :٣٩] ، وقال تعالى : ﴿ لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ... إلى قوله : وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ الآيات [سبأ :٤-٦] ، ويمكن إجمال تلك الحكم بالآتي :

١- إثبات صدق ما أخبرت به الرسل ، ونطقت به الكتب من أمره وما يكون فيه .

٢- بيان تصديق أهل العلم والإيمان الذين صدقوا به وعملوا له ودعوا إليه على منهاج النبيين والمرسلين .

٣- ظهور كذب الكفار فيما أنكروه وأعرضوا عنه ، وخسارتهم فيه .

٤- الحكم بين الخلق بالحق ، وأداء الحقوق إلى أهلها .

٥- جزاء المحسنين بالإحسان ، والمسيئين بما عملوا ، فاقتضت حكمة الله تعالى أن يجعل للخلق معاداً يبعثون فيه ، ثم يردون إليه ليجازيهم على ما كلّفهم به على ألسنة رسله ، وما أنزل إليهم من كتبه ، قال تعالى : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ [المؤمنون :١١٥] .

خامساً : أحوال البرزخ :

ونظراً لاتفاق أهل القبلة على الإيمان بجملة أشراط الساعة ، ووفرة المصنفات من أهل العلم فيها قديماً وحديثاً ، فسأترك الإشارة إلى هذه الأشراط ، وأشير إلى ما بعد الموت من نعيم القبر وعذابه ، وذلك :

١- لوجود من أنكر ذلك .

٢- ولمسيس الحاجة إلى تذكير المسلمين به .

٣- ولأن القبر أول منازل الآخرة، فإن الإيمان بما ثبت في النصوص من أحوال الناس في البرزخ بعد الموت إلى قيام الساعة من تحقيق الإيمان باليوم الآخر .

أ- حقيقة الموت:

الموت هو مفارقة روح ابن آدم لجسده إذا استكمل أجله بأي سبب قدّره الله تعالى ، ومفارقة الروح للجسد ليس فناءً للروح ، ولكنه انفصالٌ لها عن البدن بأمر الله تعالى ، وليس انفصالاً نهائياً ؛ بل لها به نوع اتصال الله أعلم بكيفيته وحقيقته، وتكون أمور البرزخ على الروح أصلاً والبدن تابع لها ، حتى ولو تلاشى واضمحل وصار رفاتاً أو تراباً ، أو تلف بحرقه أو نحوه وذري في الهواء ولم يبق له بقية فإن الروح تبقى وهي التي تتعرض للعذاب أو النعيم ويصل البدن حظه من ذلك بقدرة الله تعالى ، فإن الله تعالى على كل شيء قدير ، لا يعجزه شيء ، وقد قال تعالى : ﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌ ﴿٤﴾ ﴾ [ق :٤].

ب. الفتنة في القبر :

يجب الإيمان بما دلّت عليه الأحاديث من أمر الملكين الفتّانين الموكلين بسؤال الميت في القبر ، وصفتهما وسؤالهما المقبورين ، وكيفية ذلك، وما يجيب به المؤمن وما يجيب به المنافق، وما يعقب ذلك من النعيم والعذاب ، على التفصيل الذي جاءت به الأحاديث ، ومن ذلك ما روى الترمذي وابن حبان عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ: « **إذا قُبر الميت ـ أو قال : أحدكم ـ أتاه مَلَكَان أسودان أزرقان يقال لأحدهما : منكر ، وللآخر : نكير** ..» إلخ[1] .

وقد دلّت النصوص الواردة في إثبات نعيم القبر وعذابه على الفتنة فيه قبل ذلك ، وهي السؤال للميت : « من ربك ، وما دينك ، ومن نبيك » على أصل الفتنة، فيثبت الله من يشاء ، وهو الذي ينعم في قبره ، ويضل من يشاء، وهو الذي يعذب في القبر إلى ما شاء الله .

ج. نعيم القبر وعذابه :

اتفق أهل السنة والجماعة على ما دلّت عليه النصوص من أن نعيم القبر وعذابه حق ، وأنه يكون للروح والبدن جميعاً ، وهو مترتب على فتنة القبر والسؤال فيه، فمن ثبّته الله نُعِّم، ومن ضلَّ عُذِّب . فنعيم الروح أو عذابها :

* يكون متصلاً بالبدن ـ تارة ـ فيكون النعيم أو العذاب عليهما جميعاً .

---

(١) رواه الترمذي برقم (١٠٧١)، وابن حبان برقم (٧٨٠) . قال الترمذي : حديث حسن غريب . وصححه ابن حبان ، ويشهد له حديث البراء بن عازب ﷺ الآتي .

* كما أنه قد يكون النعيم أو العذاب للروح منفصلة عن الجسد، فيكون النعيم أو العذاب للروح وحدها تارة أخرى ، ولها مع الجسد تارة أخرى .

د- أدلة نعيم القبر وعذابه :

١- فمن أدلة القرآن على نعيم القبر وعذابه ، قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ [الواقعة :٨٨، ٨٩] .

٢- ومن الأدلة قوله تعالى عن آل فرعون : ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾ [غافر :٤٦].

قال ابن كثير - رحمه الله - : « هذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة على عذاب القبر » . وقال القرطبي - رحمه الله - : « الجمهور على أن هذا العرض يكون في البرزخ، وهو حجة في تثبيت عذاب القبر » .

٣- ومن الأدلة كذلك على عذاب القبر، قوله تعالى عن الكفار : ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾ [التوبة :١٠١] . قال مجاهد : أي : بالجوع وعذاب القبر ، قال : ثم يردون إلى عذاب عظيم يوم القيامة ، وقد استدل بهذه الآية والتي قبلها البخاري ـ رحمه الله ـ في ترجمة الأحاديث في عذاب القبر .

٤- ومن الأدلة حديث البراء ، وفيه قال ﷺ في المؤمن : « **فينادي مناد من السماء أن صدق عبدي فأفرشوه من الجنة ، وألبسوه من الجنة ، وافتحوا له باباً إلى الجنة ، فيأتيه من ريحها وطيبها ، ويفسح له في قبره مد بصره ..**»[1] الحديث .

---

(١) رواه أحمد في المسند (٤/ ٢٨٧-٢٩٥، ٢٩٦) ، وأبو داود برقم (٤٧٥٣) ، والنسائي برقم =

٥- ومن أدلة السنة على إثبات القبر ما ثبت في الصحيحين من حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - أن الرسول ﷺ قال : « **إن أحدكم إذا مات عُرض عليه مقعده بالغداة والعشي ، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة ، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار ، فيقال : هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة** »[(١)] .

٦- وكذلك ما ثبت في صحيح مسلم - رحمه الله - عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «**لولا أن لا تدافنوا لدعوتُ الله أن يسمعكم عذاب القبر**»[(٢)] .

٧- وما في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال في صاحبي القبرين : «**إنهما ليُعذبان**»[(٣)] .

٨- وكذلك ما ثبت في الصحيح أن عامّة عذاب القبر من البول[(٤)] ، يعني : من الاستهانة به ، وعدم التنزّه والتحفظ منه .

= (٢٠٥٨) مختصراً ، وابن ماجه برقم (٤٢٦٩) مختصراً ، وصححه الحاكم (١/ ٣٧، ٤٠) . وحسّنه الأرناؤوط في تحقيق شرح السنة (٥/ ٤١٧) .

(١) رواه البخاري برقم (١٣٧٩)، ومسلم برقم (٢٨٦٦). عن ابن عمر - رضي الله عنهما - .

(٢) رواه مسلم برقم (٢٨٦٨) . عن أنس رضي الله عنه .

(٣) رواه البخاري برقم (٢١٦)، ومسلم برقم (٢٦٢)، عن ابن عباس - رضي الله عنهما- .

(٤) فمن هذه الأحاديث :

(أ) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال ﷺ : « **أكثر عذاب القبر في البول** » .

رواه أحمد في المسند (٢/ ٣٢٦، ٣٨٨) ، وابن ماجه برقم (٣٤٨)، والحاكم في المستدرك (١/ ١٨٣) ، والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٤١٢)، والدارقطني في سننه (١/ ١٢٨) ، وأورده المنذري في الترغيب والترهيب (١/ ١١٥، ١١٦)، وابن حجر الهيتمي في كتاب الزواجر (١/ ٢٠٧) .

٩- وكان النبي ﷺ يتعوّذ من عذاب القبر [١] .

١٠- وقد أجمع المسلمون على إثبات عذاب القبر ونعيمه ، ولم ينكره إلا من لا فقه له ولا أثر لخلافه .

فقد أنكر الملاحدة والفلاسفة ومن اتبعهم ومن أهل الكلام عذاب القبر بدعوى عدم مشاهدته في الدنيا ، ويُردّ عليهم بما يلي :

قال المنذري : رواه أحمد وابن ماجه واللفظ له ، والحاكم وقال : صحيح على شرط الشيخين ولا أعلم له علة . قال الحافظ : وهو كما قال . وصححه ابن حجر الهيتمي في كتاب الزواجر (١/ ٢٠٧) .

وقال البوصيري في سنن ابن ماجه رقم (٣٤٨) : إسناده صحيح، وله شواهد .

وقال أحمد شاكر في تحقيق المسند (٨٣١٣) : إسناده صحيح وصححه الألباني في صحيح الترغيب (١/ ٦٦) رقم (١٥٥) .

(ب) عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله ﷺ : « **عامّةُ عذاب القبر في البول ، فاستنزهوا من البول** » .

رواه الحاكم (١/ ١٨٤) ، وأورده المنذري في الترغيب والترهيب (١/ ١١٥) ، وابن حجر الهيتمي في كتاب الزواجر (١/ ٢٠٧) . قال المنذري في الترغيب والترهيب : رواه البزار والطبراني في الكبير، والحاكم ، والدارقطني ، كلهم من رواية أبي يحيى القتات عن مجاهد عنه .

وقال الدارقطني : إسناده لا بأس به ، والقتات مختلف في توثيقه . وحسّنه الألباني في صحيح الترغيب (١/ ٦٦) رقم (١٥٢) وعلق على قول الدارقطني (والقتات مختلف في توثيقه) قائلاً : لكن له إسناد آخر من حديث أبي هريرة عند الدارقطني وصوّب إرساله ، وله عنه طريق أخرى عند ابن ماجه وغيره . وهو الحديث السابق .

(١) رواه البخاري برقم (٦٣٦٦)، ومسلم برقم (٥٨٦) (١٢٦)، عن عائشة رضي الله عنها.

الأول : دلالة الكتاب والسنة وإجماع السلف عليه .

الثاني : أن أحوال الآخرة لا تُقاس بأحوال الدنيا .

الثالث : وجود أشياء في الدنيا لا تُشاهد مثل : العقل والروح والكهرباء، فكل هذه يقرّ العقلاء بوجودها ويؤمنون بأثرها مع أنهم لم يشاهدوها على هيئتها ، فما أخبر الله تعالى به من أمور الغيب في البرزخ والآخرة وفوق السماوات أولى أن يُصدق به ويقرّ بوجوده ، ولو لم يشاهد ، ذلك بأن الله هو الحق المبين .

سادساً : ذكر مهمات مما يكون في اليوم الآخر :

الأول : البعث :

١- تعريف البعث :

البعث لغة : التحريك والإثارة والنشر والإرسال .

واصطلاحاً : هو إخراج الناس أحياءً من قبورهم ، وإرسالهم إلى موقف الحشر ، لحسابهم والقضاء بينهم وجزائهم .

٢- حكمته ومنزلته :

يجب الإيمان ـ وهوالتصديق والاعتقاد الجازم ـ بأن الله تعالى يبعث الناس من قبورهم أحياء يوم القيامة ، على الصفة التي جاءت بها النصوص ؛ ليجزي المحسن بإحسانه ، والمسيء بعمله ، أو يعفو عنه .

والإيمان بالبعث والجزاء من أعظم أصول الإيمان ، فإن الله تعالى يجمع ـ بقدرته ـ ما تفرق من أجساد الأموات التي تحللت ، ثم يعيدها كما كانت، ثم يعيد الأرواح إليها، ثم يشق الأرض عنها، يسوقها إلى المحشر للقضاء بينهم

بالحق وجزائهم على أعمالهم .

٣- من الأدلة على البعث :

ولقد أقام الله تعالى الحجج والبراهين على صحة البعث وتحقق وقوعه من وجوه متعددة ، فمن أدلته :

أ- قول الله تعالى : ﴿ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [التغابن :٧] ، وقوله سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴾ [القصص :٨٥] .

ب- ومن السنة قوله ﷺ : « **إذا اراد الله بقوم عذاباً أصاب العذاب من كان فيهم ثم بُعثوا على أعمالهم** »[١] ، وقوله : ﷺ : « **يُبعث كل عبد على ما مات عليه** »[٢] .

ج- ومما استدل الله به على قدرته على بعث الأموات بعد موتهم :

* إحياء الأرض بالمطر بعد موتها .

* إحياء بعض الأموات في الدنيا كإحياء قتيل بني إسرائيل بعد ضربه بعظم من بقرة أمروا بذبحها لذلك ، وإحياء الذي مرَّ على قرية بعد موتها ، وإحياء أهل الكهف ، وتلك الأمثلة مذكورة في القرآن .

* أن الذي ابتدأ الخلق على غير مثال سبق قادر على إعادته ، فإن الإعادة أهون من الابتداء، والكل على الله هيِّن .

---

(١) رواه مسلم برقم (٢٨٨٢) عن عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - .

(٢) رواه مسلم برقم (٢٨٧٨) عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه .

فدلّت النصوص على أن الله تعالى يعيد الأجساد نفسها فيجمع رفاتها المتحلّل ويخلقها في أماكنها في القبور أو في أي مكان كانت حتى تعود كما كانت فيعيد إليها أرواحها إذا تم خلقها ، فسبحان من لا يُعجزه شيء وهو على كل شيء قدير .

٤- بيان كيفية البعث :

وفي بيان كيفية البعث جاء حديث أبي هريرة ﷺ الذي أخرجه الشيخان أن رسول الله ﷺ قال : « **ما بين النفختين أربعون** » . قالوا : يا أبا هريرة ، أربعون يوماً ؟ قال : أبيتُ . قال : « **ثم ينزل الله ماءً فينبتون منه كما ينبت البقل، ليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظماً واحداً وهو عجب الذنب** ـ آخر عمود الظهر ـ **ومنه يركّب الخلق يوم القيامة** »[1] .

فدلّ الحديث على كيفية البعث ، وأن أهل القبور والموتى يبقون بعد النفحة التي فيها الصعقة وقبل نفخة البعث أربعين ، جاء في بعض الروايات أنها أربعون سنة ، والنفختان هما :

١- نفخة الفزع والصعق ، وهي التي تكون بها إماتة الأحياء وخراب هذا العالم .

٢- نفخة البعث من القبور وإرسالهم إلى موقف الحشر .

فإذا أراد الله بعث الخلائق أنزل من السماء ماءً ـ جاء في بعض الروايات صفته أنه كمني الرجال ـ فينبت أهل القبور من ذلك الماء ، فإذا تم

---

(١) رواه البخاري برقم (٤٩٣٥) ، ومسلم برقم (٢٩٥٥) عن أبي هريرة ﷺ .

خلقهم نفخ في الصور النفخة الثانية ، فطارت أرواحهم إلى أجسادهم ، وانشقت الأرض عنهم ، فخرجوا من قبورهم سراعاً : ﴿ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ۝ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ۝ ﴾ [القمر :٧، ٨] .

فأول يوم القيامة النفخ في الصور نفخة الفزع والصعق ، ثم نفخة البعث التي تعود فيها الأرواح إلى الأجساد فتحيا ، ثم تُحشر الخلائق إلى رب العباد ، والصور هو القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل ـ عليه السلام ـ[١] .

* وعن أبي سعيد أن رسول الله ﷺ قال : « **إن صاحب الصور قد التقم الصور وحنى جبهته ينتظر متى يؤمر بالنفخ** »[٢] .

* وروى أحمد في مسنده أن رسول الله ﷺ قال : « **النافخان في السماء الثانية فينظران متى يُؤمر في الصور فينفخا** »[٣] .

---

(١) انظر : تفسير ابن كثير (٣/ ٤٦) .

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٣/ ٧)، والترمذي برقم (٢٤٣١) ، (٣٢٣٨)، وابن ماجه برقم (٤٢٧٣).

وقال الترمذي : هذا حديث حسن. وقال الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (١٠٧٩) : حسن لغيره ، وصححه الأرناؤوط في شرح السنة (١٥/ ١٠٣) .

(٣) رواه الإمام أحمد (٢/ ١٩٢) عن أبي مرية أو عن عبدالله بن عمرو – رضي الله عنهما – عن النبي ﷺ.

قال الهيثمي في الجمع (١٠/ ٣٣٠) : « رواه أحمد على الشك ، فإن كان عن أبي مرية ، فهو مرسل ورجاله ثقات، و إن كان عبدالله بن عمرو فهو متصل مسند، ورجاله ثقات ».

وقال المنذري في الترغيب (٤/ ٢٩٠) رقم (٥٢٠٠) : « رواه أحمد بإسناد جيد هكذا على الشك في إرساله أو اتصاله ».

وقال أحمد شاكر في تحقيق المسند رقم (٦٨٠٤) : إسناده ضعيف للشك بين إرساله ووصله، وأورده الألباني في السلسلة الصحيحة عند تحقيقه للحديث رقم (١٠٨٠) ولم يبيِّن حاله من حيث صحته أو ضعفه .

قال الحافظ: وقد اشتهر أن صاحب الصور إسرافيل ـ عليه السلام ـ .

وهذا يُحتمل أن إسرافيل رئيسهم وله أعوان .

وقد جاء في صحيح مسلم عن يوم الجمعة أن فيه تقوم الساعة(١) .

وفي سنن النسائي عن أوس بن أوس الثقفي مرفوعاً : « **إن أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه الصعقة ، وفيه النفخة الثانية** »(٢) .

*** عدد مرات النفخ في الصور :**

والصواب أن النفخ في الصور مرتان :

الأولى : تبدأ بالفزع وتنتهي بالصعق لجميع الخلق إلا من شاء الله .

الثانية : نفخة البعث فتعاد الأرواح إلى الأجساد ، ويقوم الناس لرب العالمين ، ويدل على ذلك :

١/ قوله تعالى : ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾ [الزمر :٦٨] .

وقوله تعالى : ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴾ [يس :٥١] .

---

(١) رواه مسلم برقم (٨٥٤) (١٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه أبوداود برقم (١٠٤٧)، والنسائي برقم (١٣٧٣) بنحوه، وابن ماجه برقم (١٠٨٥) ورقم (١٦٣٦) بنحوه . والحديث صححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (١٩٣٠)، والمشكاة رقم (١٣٦١) والتوسل ص٦٣، وصحيح الجامع رقم (٣٨٩٥) .

٢/ وثبت في صحيح مسلم عن عبدالله بن عمرو - رضي الله عنهما - في حديث الطويل ، وفيه : قال رسول الله ﷺ: « **ثم يُنفخ في الصور فلا يسمعه أحدٌ إلا أصغى ليتا ورفع ليتا، ثم لا يبقى أحدٌ إلا صُعق ، ثم يُنزل اللهُ مطراً كأنه الطل أو الظل - شك الراوي - فتنبت منه أجساد الناس ، ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون** »[1] .

الثاني: الحشر:

١- تعريف الحشر :

الحشر لغةً : الجمع .

وشرعاً : جمع الخلائق بعد إحيائهم في موقف الجمع يوم القيامة لحسابهم والقضاء بينهم .

٢- من الأدلة على الحشر :

(١) قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ ﴾ [التغابن :٩] .

(٢) وقوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الواقعة :٤٩، ٥٠] .

(٣) وقوله تعالى : ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ [ق :٤٤] .

---

(١) جزء من حديث رواه مسلم برقم (٢٩٤٠) عن عبدالله بن عمرو - رضي الله عنهما - .

(٤) وجاء في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ : « إن الله تعالى يجمع الأولين والآخرين في موقف واحد يسمعهم الداعي وينفذهم البصر، وأنهم يصيبهم في ذلك الموقف من الأهوال ما لا يطيقون ولا يحتملون، حتى يسعى بعضهم في طلب الشفاعة ليخلصوا من هول ذلك الموقف لشدّته عليهم »(١) .

(٥) في الصحيح أن النبي ﷺ قال : « **يا أيها الناس إنكم لمحشورون حُفاة غُرلاً، ثم قرأ** : ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَـٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء :١٠٤] ، **وأول من يُكسى إبراهيم عليه السلام** »(٢) .

(٦) وقال ﷺ : « **يُحشر الناس يوم القيامة عراة غرلاً بُهْمَاً** »(٣) ، أي ليس معهم شيء .

(٧) وقال ﷺ: « **يُحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء كقرصة النقي ، ليس فيها معلمٌ لأحد** »(٤) .

---

(١) جزء من حديث الشفاعة الطويل الذي رواه البخاري برقم (٣٣٦١) ، ومسلم برقم (١٩٤) . عن أبي هريرة ﷺ .

(٢) رواه البخاري برقم (٦٥٢٦)، ومسلم برقم (٢٨٦٠) عن ابن عباس - رضي الله عنهما - .

(٣) جزء من حدث رواه أحمد في المسند (٣/ ٤٩٥)، والبخاري في الأدب المفرد برقم (٩٧٠) وعلّقه في صحيحه في كتاب العلم ، باب : الخروج في طلب العلم ، عند الحديث رقم (٧٨) ، والحديث حسّنه الحافظ في الفتح (١/ ٢١٠) ، وصححه الحاكم (٢/ ٤٣٧، ٤٣٨) ووافقه الذهبي ، وحسّنه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (١٦٠) ، وفي صحيح الأدب المفرد (٧٤٦) .

(٤) رواه البخاري برقم (٦٥٢١) ، ومسلم برقم (٢٧٩٠) عن سهل بن سعد ﷺ .

الثالث: الحساب:

ا- تعريف الحساب :

الحساب لغة : العدّ والإحصاء .

وشرعاً : هو : إطلاع الله تعالى على عباده على أعمالهم قبل الانصراف من المحشر خيراً كانت أو شراً . قال تعالى : ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ﴾ [المجادلة :٦] ، وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [آل عمران :٣٠] ، وقال تعالى : ﴿ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [الكهف :٤٩] .

٢- الأدلة على الحساب :

الحساب ثابت بالكتاب والسنة والإجماع ، والإيمان به أصل من أصول أهل السنة والجماعة :

١- فمن القرآن :

* قوله تعالى : ﴿ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾ ﴾ [الغاشية : ٢٥، ٢٦] .

* وقوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ ﴾ [الانشقاق :٧، ٨] .

٢- ومن السنة :

* ما جاء في مسند الإمام أحمد ـ رحمه الله تعالى ـ عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن النبي ﷺ كان يقول في بعض صلاته: «اللهم حاسبني حساباً يسيراً»

فقالت عائشة : ما الحساب اليسير؟ قال : « **أن ينظر في كتابه فيتجاوز عنه** »[١].

قال الألباني رحمه الله : إسناده جيد .

٣- وأجمع المسلمون على ثبوته يوم القيامة :

* والحساب عام للجميع إلا من استثناهم النبي ﷺ ، كما في الصحيحين من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما -، وفيه قال ﷺ في أمَّته : « **ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب** » . فقام عكاشة ابن محصن رضي الله عنه فقال : أُدع اللهَ أن يجعلني منهم . فقال : « **أنت منهم**»[٢] الحديث .

* وروى أحمد - رحمه الله - عن أبي أمامة الباهلي : « **إن مع كل ألف سبعون ألفاً** »[٣] صححه ابن كثير - رحمه الله - وذكر له شواهد .

٣- صفة الحساب ونشر الكتاب :

دلت النصوص الواردة في الحساب ـ ومنها حديث ابن عمر المتفق عليه ـ على : « **أن الله يخلو بعبده المؤمن فيقرِّره بذنوبه ـ أو بعمله ـ حتى إذا رأى أنه قد**

---

(١) رواه أحمد في المسند (٦/ ٤) . وانظر المشكاة رقم (٥٥٦٢) .

(٢) رواه البخاري برقم (٥٧٠٤) ، ومسلم برقم (٢٢٠) (٣٧٤) .

(٣) رواه أحمد في المسند (٥/ ٢٦٨)، والترمذي برقم (٢٤٣٧) ، وابن هبرقم (٤٢٨٦) . قال الترمذي : هذا حديث حسن غريب .

وروى الإمام أحمد في مسنده (١/ ٦) عن أبي بكر الصديق أن رسول الله ﷺ قال : «**فاستزدت ربي عز وجل فزادني مع كل واحد سبعين ألفاً**» . قال أحمد شاكر في تحقيق المسند رقم (٢٢) : إسناده ضعيف . وصححه الشيخ عمر الأشقر في كتابهِ الجنة والنار، ص١٢٤ .

هلك قال الله تعالى له : أنا سترتها عليك في الدنيا ، وأنا أغفرها لك اليوم فيعطى كتاب حسناته »[١] .

قلت : وفي هذا الحديث أن الحساب قبل أخذ الكتاب ، فالكتاب توثيق للحساب لإظهار الفضل والعدل من رب الأرباب ، فيقرر بالحساب ، ثم يدفع إليه الكتاب ليقرأه فيباهي به أو يتحسر عليه .

وأما الكافرون والمنافقون فينادى بهم على رؤوس الأشهاد : ألا لعنة الله على الظالمين .

وأول من يحاسب من الأمم هذه الأمة ، لقوله ﷺ : « نحن الآخرون السابقون يوم القيامة المقضي بينهم قبل الخلائق »[٢] .

روى ابن ماجه عن ابن عباس – رضي الله عنهما – مرفوعاً : « **نحن آخر الأمم وأول من يُحاسب ..** »[٣] إلخ .

وأول ما يُحاسب به العبد من حقوق الله الصلاة ؛ لقوله ﷺ: « **أول ما يُحاسب عليه العبد يوم القيامة الصلاة ...** »[٤] إلخ . رواه الطبراني وإسناده لا بأس به .

---

(١) رواه البخاري برقم (٢٤٤١)، ومسلم برقم (٢٧٦٨) عن ابن عمر – رضي الله عنهما – .

(٢) رواه البخاري برقم (٨٩٦)، ومسلم برقم (٨٥٥) و (٨٥٦) عن أبي هريرة ﷺ .

(٣) رواه ابن ماجه برقم (٤٢٩٠)، قال في الزوائد : إسناده صحيح ، رجاله ثقات . وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه .

(٤) رواه الترمذي برقم (٤١٣) ، والنسائي (١/ ٢٣٢) ، وأحمد في المسند (٥/ ٧٢، ٣٧٧) ، والحاكم في المستدرك (١/ ٢٦٣). وصححه الأرناؤوط في جامع الأصول رقم (٧٩٦٤).

قال المنذري في الترغيب والترهيب : وأول ما يقضى بين الناس ـ قلت: يعني : من حقوق بعضهم على بعض ـ في الدماء ، لقوله ﷺ: « **أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء** »[1] .

٤- كيفية أخذ الكتب ، أي : صحف الأعمال :

وبعد الحساب تنشر الدواوين ، أي : تفتح وتبسط ، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴾ [التكوير :١٠] .

فآخذٌ كتابه بيمينه ، وآخذٌ كتابه بشماله من وراء ظهره ، لقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾ [الانشقاق :٧، ٨]، ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴾ [الانشقاق :١٠ -١٢] ، ويقول خاسئاً حسيراً : ﴿ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الحاقة :٢٥، ٢٦] ، وقال تعالى : ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ ﴾ [الإسراء :١٣، ١٤] ، فكل قد تحدد مصيره .

الرابع :الميزان:

الميزان أمرٌ حقيقي ، له كفتان توزن به أعمال العباد ، ولا يعلم كيفيته إلا الله تعالى، قال تعالى : ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ﴾ [الأنبياء :٤٧] ، وقال تعالى : ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا

---

(١) رواه البخاري برقم (٦٥٣٢) ، ومسلم برقم (١٦٧٨) عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه .

يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الأعراف :٨، ٩] .

* فتوزن الأعمال لحديث : « **الحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله ، والحمد الله تملأ ما بين السماء والأرض** »(١) .

* وقد تُوزن صحف الأعمال لحديث البطاقة .

* وقد يُوزن العامل لحديث ابن مسعود - رضي الله عنهما – قال النبي ﷺ : « **أتعجبون من دقة ساقيه ؟ لهما في الميزان أثقل من أُحُد** »(٢) ، وحديث : « **يُؤتى بالرجل السمين فلا يزن عند الله جناح بعوضة** »(٣) .

فمن ثقلت موازين حسناته على سيئاته دخل الجنة ، ومن تساوت حسناته على سيئاته كان من أهل الأعراف بين الجنة والنار ، يُؤجل أمره حتى يدخل أهلُ الجنةِ الجنةَ ، وأهلُ النارِ النارَ ، ثم تدركه الشفاعة فترجح حسناته على سيئاته فيدخل الجنة ، ومن رجحت سيئاته على حسناته استحق النار ، إلا أن يشفع فيه الشفعاء ، أو يعفو الله عنه .

---

(١) رواه مسلم برقم (٢٢٣) عن أبي مالك الأشعري ﷺ .

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند (١/ ٤٢٠، ٤٢١) . وهو في مجمع الزوائد (٩/ ٢٨٩) .
قال في المجمع : « رواه أحمد وأبويعلى والبزار والطبراني من طرق وذكر بعض ألفاظه ، وأمثل طرقها فيه عاصم بن أبي النجود ، وهو حسن على ضعفه ، وبقية رجال أحمد وأبي يعلى رجال الصحيح » .
وقال أحمد شاكر في تحقيق المسند برقم (٣٩٩١) : إسناده صحيح .
وله شاهد من حديث علي بن أبي طالب رواه الإمام أحمد (١/ ١١٤) وهو في مجمع الزوائد (٩/ ٢٨٨، ٢٨٩) . وقال : « رواه أحمد وأبويعلى والطبراني ورجالهم رجال الصحيح، غير أم موسى وهي ثقة» . وصححه أحمد شاكر في تحقيق المسند برقم (٩٢٠) .

(٣) رواه البخاري برقم (٤٧٢٩) ، ومسلم برقم (٢٧٨٥) عن أبي هريرة ﷺ .

الخامس: الورود على الحوض:

أجمع أهل الحق على أن للنبي ﷺ حوضاً في عرصات يوم القيامة، يرد عليه من أجابه واتبعه من أمته، وقد جاء وصفه عن النبي ﷺ : « **ماؤه أشدّ بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل ، آنيته عدد نجوم السماء ، طوله شهر ، وعرضه شهر ، من يشرب منه لا يظمأ بعدها أبداً** » .

فعن عبدالله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما – قال : قال رسول الله ﷺ : « **حوضي مسيرة شهر ، ماؤه أبيض من اللبن ، وريحه أطيب من ريح المسك ، وكيزانه كنجوم السماء ، من شرب منه لا يظمأ أبداً** »[1] .

وفي صحيحي البخاري ومسلم : « **ليردنّ عليّ الحوض أقوام فيُختلجون دوني ، فأقول : أصحابي . فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك** »[2] .

السادس: الصراط:

دلت النصوص من الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة على أن الصراط ـ وهو الجسر ـ المنصوب على متن جهنم يمر الناس عليه على قدر أعمالهم ، وعليه كلاليب تخطف الناس بأعمالهم ، فمن مر على الصراط دخل الجنة ، ومن خطفته تلك الكلاليب دخل النار ، فيمر الناس عليه على حسب أعمالهم ، فناج مخدوش ، وناج مسلم ، ومكردس في نار جهنم ، فإذا عبروا عليه وُقفوا على قنطرة بين الجنة والنار ، فيقضى لبعضهم من بعض ، فإذا هُذّبوا ونُقّوا أُذِن لهم في دخول الجنة .

---

(١) رواه البخاري برقم (٦٥٩٣) ، ومسلم برقم (٢٢٩٢) .

(٢) رواه البخاري برقم (٦٥٧٦) ، ومسلم برقم (٢٢٩٧) عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه .
ورواه البخاري برقم (٦٥٨٢) ، ومسلم برقم (٢٣٠٤) عن أنس بن مالك رضي الله عنه .

سابعا: أمر الشفاعة وأنواعها:

١- تعريف الشفاعة :

الشفاعة لغة : من الضم ؛ لأن الشافع ينضم إلى المشفوع له في تحصيل مطلوبه .

واصطلاحاً : هي سؤال الخير للغير .

وهي في يوم القيامة : السؤال في التخليص من موقف القيامة وأهواله، والسؤال في التجاوز عن الذنوب ومحو السيئات ، والنجاة من النار ودخول الجنة، والتخفيف من العذاب ، ونيل الثواب وزيادته .

أ- دلت الآيات المحكمات والأحاديث الصحيحة على ثبوت الشفاعة يوم القيامة بأنواعها ، الخاصة بالنبي ﷺ أو العامة ، له ولغيره من الشافعين من خيار عباد الله ، ومنها الشفاعة في أهل الكبائر من الأمة ، والشفاعة في دخول الجنة ، وفي الجنة في رفعة الدرجة وزيادة الثواب على ما جاءت به الآيات والأحاديث .

ب- الشفاعة المثبتة لا تنال إلا بإذنه تعالى ، وأما ما نفي من الشفاعة فهو ما كان لمشرك أو كافر ، أو كان بغير إذن من الله ، فلا تنال إلا بعد الإذن والرضا من الله تعالى

٢- أنواع الشفاعة :

الأولى : الشفاعة العظمى في أهل الموقف، وهي خاصة بالنبي ﷺ ، فيشفع لهم ليقضي الله بينهم ويتخلصوا من هول الموقف ، وهي من المقام المحمود الذي أعطيه النبي ﷺ .

الثاني : الشفاعة في قوم استوجبوا النار أن لا يدخلوها : وهذه عامة ، وللنبي ﷺ منها أوفر حظ ونصيب ، ولإخوانه من المرسلين والنبيين والشهداء والصالحين نصيب منها، وتكون قبل الورود على الصراط كما يفهم من الأدلة.

الثالث : الشفاعة في قوم دخلوا النار من عصاة أهل القبلة أن يخرجوا منها : وهذه تكون بعد مجاوزة الصراط ، وهي أيضاً عامة في الشافعين ، للنبي ﷺ منها أكبر حظ وأوفر نصيب ، ويشركه فيها إخوانه المرسلون والنبيون والصديقون والصالحون فيمن شاء الله من عباده .

الرابع : الشفاعة في دخول الجنة : وهذه خاصة بالنبي ﷺ ، فإنه أول من يستفتح باب الجنة فيُفتح له، ثم يدخل هو وأمته والمرسلون وأممهم بعده ـ عليهم الصلاة والسلام ـ جميعاً .

الخامس : الشفاعة داخل الجنة في رفعة الدرجات وزيادة الثواب : بحيث يُعطى المشفوع له فوق ما يستحقه أو يرفع إلى درجة الشافع فيه ، وهي كذلك عامة للمرسلين والنبيين والشهداء وصالحي المؤمنين ، وللنبي ﷺ من هذه الشفاعة النصيب الأوفر .

السادس : الشفاعة في أهل الأعراف : وهو جبل مشرف بين الجنة والنار، يوقف عليه أهل الأعراف ، وهم قومٌ تساوت حسناتهم وسيئاتهم ، فلم ترجح حسناتهم فيدخلون الجنة، ولم تُرجح سيئاتهم فيستوجبوا النار ، فيشفع لهم في ترجيح حسناتهم على سيئاتهم فيدخلوا الجنة ، وهي عامة في المرسلين والنبين والشهداء والصالحين، وللنبي ﷺ منها النصيب الأوفر ، وهذه تكون بعد دخول أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار بمدة الله أعلم بها .

السابعة : الشفاعة في أبي طالب خاصة من الكفار : وهي كذلك خاصة بالنبي ﷺ، فيشفع في تخفيف العذاب عنه ، حيث يخرجه ﷺ من دركات النار إلى ضحضاح منها ، أي : يسير لا يجاوز كعبيه يغلي منه دماغه ، وهو أهون الكفرة عذاباً ، ولا يخرج من النار ؛ لأنه مات على الشرك ، والله تعالى قال عن المشركين : ﴿ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة :١٦٧] ، وقال تعالى : ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر : ٤٨] .

ثامنا : الجنة والنار:

ومن الإيمان باليوم الآخر : الاعتقاد الجازم والتصديق التام بالجنة والنار، فأهل السنة والجماعة يعتقدون :

أ- أن الجنة والنار موجودتان معدّتان لأهلهما ولا تفنيان ، فالجنة دار كرامة الله أعدها لأوليائه المقربين والأبرار ، والنار دار عذابه أعدّها دار هوان لأعدائه المشركين والمنافقين والكفار .

ب- وأن أهلهما لا يموتون كما جاء النص فيه ، يقال لأهل كل منهما : خلود ولا موت ، وكما قال سبحانه عن أهل كل منهما : ﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة :٣٩] ، وأخبر أنهم منها لا يخرجون ، لكن قال سبحانه : ﴿لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ [الحشر :٢٠]، وقال تعالى عن الجنة : ﴿ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران :١٣٣] ، وقال عن النار : ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة : ٢٤] .

وفي حديث الكسوف في الصحيحين : أن النبي ﷺ رأى الجنة حتى كاد أن يتناول عنقوداً منها أو قطفاً ، ورأى النار فلم يرَ منظراً قط أفظع منها . وفي

رواية : « فلم أرَ كاليوم في الخير والشر »[(١)] .

ج- وأن أهل الجنة في نعيم أبدي متجدد ، قال تعالى : ﴿ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة :٢٥] ، وقال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴾ [النساء :٥٧] .

وقال تعالى في نعيمهم : ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود :١٠٨] ، وأهل النار في عذاب أبدي سرمدي دائم ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء :٥٦] ، وقال تعالى : ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [الجن :٢٣] .

* * *

(١) رواه البخاري برقم (١٠٥٢) ، ومسلم برقم (٩٠٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما .

تاسعا: من ثمرات الإيمان باليوم الآخر:

الإيمان باليوم الآخر له ثمرات كثيرة وكبيرة، منها:

١- عِظَم الأجر وجزالة المثوبة، فإن الإيمان باليوم الآخر من الإيمان بالغيب الذي وعد الله أهله بالاهتداء وعظم الأجر والرزق الكريم والفلاح، وهو الفوز بكل محبوب والنجاة من كل مرهوب.

٢- الاجتهاد في كثرة العمل الصالح والاستزادة منه وفق الشرع، رجاء ثقله في الموازين وعظم المثوبة عليه ورفعة الدرجات وحطّ الخطيئات بسببه.

٣- الحذر من المعاصي والمخالفات وملازمة التوبة النصوح من الخطيئات حذراً من عقوباتها في الآخرة.

٤- تسلية المؤمن عما يفوته في الدنيا لما يرجوه من الخلف وحسن العاقبة وجزيل المثوبة في الأخرى.

٥- الأخذ بأسباب حسن الخاتمة من ملازمة ما يفتح الله تعالى من أبواب العمل الصالح؛ فإنه يبعث كل عبد على ما مات عليه، والدعاء بحسن الخاتمة، كما قال يوسف عليه السلام: ﴿ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ [يوسف :١٠١]، والحذر من الظلم ،و المخالفات خشية أن يموت على خصلة منها حذراً من تحقق قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ .. ﴾ إلى قوله سبحانه: ﴿ فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء : ٩٧].

٦- الاهتمام بأمر القبر وأحوال البرزخ، بالأخذ بأسباب الثبات عند الفتنة وما يترتب عليها، من الإخلاص لله في التوحيد، والاستقامة على

الشريعة ، والاتباع للنبي ﷺ في ذلك كله ، والحذر من موجبات الضلال عن الامتحان ، والعذاب بعد الامتحان من الشك والتقليد الأعمى والانحراف عن القرآن ، والوقوع في البدع والشرك ، وتجنب الخصال التي صرحت النصوص بأنها من أسباب عذاب القبر ، كترك الصلاة ، وعدم التنزّه من البول ، والوقوع في الغيبة والنميمة ، ونحو ذلك .

٧- محبة ما يحبه الله تعالى من الأشخاص والأماكن والأحوال ، وكراهة ما يكرهه الله تعالى والبعد عنه .

٨- تسلية المؤمن عما يفوته من نعيم الدنيا ومحابها ومتاعها بما يرجوه عند الله تعالى من عظيم نعيم الآخرة وكثرة ثوابها ، فهو نعيم متجدد أبدي لا ينقطع ولا ينقص ولا يتغيّر بضده .

***

الركن السادس :



الإيمان بالقدر

أولا : تعريف القدر :

القدر لغة : مصدر قدّرت الشيء أقْدُره قدراً ، أي :أحطتُ بمقداره ، فهو الإحاطة بمقادير الأمور .

وشرعاً : هو علم الله تعالى بالأشياء وكتابته لها قبل كونها ، على ما هي عليه ، ووجودها على ما سبق به علمه وكتابته بمشيئته وخلقه .

ثانيا : درجات القدر :

يتضح من تعريف القدر شرعاً أن له أربع درجات :

الأولى: سبق علم الله المحيط بكل شيء ، فعلم سبحانه كل شيء وأجل كل حي ، وعلم الخير والشر ، وقدّر النفع والضر ، علم ما كان وما يكون وما سيكون ، وما لم يكن لو كان كيف يكون ، قال تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ والله بكل شيء عليم ﴾ [البقرة :٢٨٢] .

الثانية: كتابته لهذا العلم في اللوح المحفوظ قبل خلق السموات والأرض، قال تعالى : ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ [القمر :٥٢، ٥٣] ، وفي الحديث : « **إن أول ما خلق الله القلم ، فقال له: اكتب . قال : ما أكتب؟ قال : اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة**»[1] .

(١) رواه أبوداود برقم (٤٧٠٠) عن عبادة بن الصامت ﷺ .

وفي صحيح مسلم : « كان ذلك قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة »[1] .

وفي هاتين الدرجتين يقول الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [الحج :٧٠] .

الثالثة:المشيئة: فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، قال تعالى : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا ﴾ [السجدة :١٣] ، وقال تعالى : ﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [التكوير :٢٨، ٢٩].

الرابعة:الخلق: وهي أنه تعالى خالق كل شيء ، فلا يوجد شيء إلا بمشيئته وخلقه ، وهو خالق أفعال العباد خيرها وشرها ، قال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ [الرعد :١٦] .

ثالثاً : القدر والقضاء :

يُقال : في الإسلام والإيمان ، والبر والتقوى : إذا اجتمعا افترقا ، وإذا افترقا اجتمعا ، أي : إذا اجتمعا في نص واحد كحديث سؤال جبرائيل عليه السلام للنبي ﷺ عن الإسلام والإيمان فسر الإسلام بالأقوال والأعمال الظاهرة ، وفسر الإيمان بالاعتقادات والنيات والأعمال القلبية الباطنة ، وإذا ذكر أحدهما دون الآخر فسر بمعناه ومعنى الآخر جميعاً .

فهكذا القدر والقضا إذا ذكرا جميعاً فسر القدر بسبق علم الله بالشيء وكتابته له ، وفُسر القضاء بمشيئة الله تعالى للشيء وإيجاده في وقته على

---

(١) رواه مسلم برقم (٢٦٥٣) عن عبدالله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - .

الكيفية التي أراد وعلى وفق ما سبق به علمه وجرى به قلمه ، فيكون القدر إحاطة علم الله بالشيء سابقاً ، والقضاء تنفيذ الشيء والفراغ منه لاحقاً .

وإذا ذكر أحدهما في النص وحده فسر بمعناه ومعنى الآخر جميعاً ، فيفترقان في المعنى عند الاجتماع ، ويتفقان عند الافتراق .

رابعاً : كيفية الإيمان بالقدر ومنزلته :

الإيمان بالقدر هو : التصديق التام والاعتقاد الجازم :

١- بعلم الله القديم بالأشياء قبل كونها على ما هي عليه ، وأنه تعالى علم ما كان وما يكون وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكون ، فقد أحاط الله تعالى بكلٍّ علماً، وعلمه غير مسبوق بجهل، ولا يعرض له نسيان، قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [العنكبوت :٦٢] .

٢- والإيمان بأن هذا العلم مكتوب في اللوح المحفوظ ، فإن الرب تبارك وتعالى خلق القلم فأمره بكتابة المقادير إلى يوم القيامة فكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة وكان ذلك قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ، كما جاءت به الأحاديث الصحيحة ، قال تعالى : ﴿ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴾ [القمر :٥٣] ، أي : مكتوب مسطور في كتاب .

٣- والاعتقاد الجازم بأنه لا يكون في ملكه تعالى شيء من إيجاد أو عدم أو حركة أو سكون ، ولا فعل ولا ترك ، ولا طاعة أو معصية إلا بمشيئته ، فما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن ، مالك الملك ومدبره بمشيته وحكمته ، لا مالك غيره ، ولا ربَّ سواه .

٤- التصديق التام بأن الله تعالى خالق كل شيء لا خالق غيره، فهو خالق العباد وأعمالهم خيرها وشرها ، قال تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات :٩٦ ، وقال تعالى : ﴿ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ ﴾ [فاطر: ٣] .

٥- والعلم بأن ما أخطأ العبد لم يكن ليصيبه ، وما أصابه لم يكن ليخطئه.

فالإيمان بالقدر من أصول الاعتقاد ، وسبيل أهل الرشاد ، التي دلّ عليها القرآن ، قال تعالى : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر :٤٩] ، وقال تعالى : ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ﴾ [القمر :٥٢، ٥٣] ، وقال تعالى : ﴿ وخلق كل شيء فقدره تقديراً ﴾ [الفرقان :٢] .

* ودلّت عليها السنة الصحيحة ، فمن ذلك ما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ قال : « **الإيمان أن تؤمن بالله ...** » الحديث ، وفي آخره : « **وأن تؤمن بالقدر خيره وشره** »[1] .

* وأجمع عليه الصحابة والتابعون لهم بإحسان ، فقد ثبت عن عدد من الصحابة الذين أدركوا طائفة القدرية الضالة ـ نفاة العلم ـ وردوا بدعتهم بالدلائل من الكتاب والسنة ، وأخبروهم أن العبد لا يذوق طعم الإيمان ولا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً ولا ينجو من النار حتى يؤمن بالقدر خيره وشره ، وتبرؤوا ممن أنكر القدر أو تكلّم فيه بخلاف الشرع .

خامساً : القدر والتوحيد :

صحّ عن علي رضي الله عنه أنه قال : القدر سر الله في الخلق، وعن الإمام أحمد

---

(١) رواه البخاري برقم (٥٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه ، ومسلم برقم (٨) عن عمر رضي الله عنه .

ـ رحمه الله ـ أنه قال : القدر قدرة الله .

فالقدر سر الله في الخلق وتدبيره الملك ، وهو دليل على قدرة الله تعالى وعلمه وحكمته وقوته ولطفه ، فمن لا يؤمن بربوبية الله وأسمائه وصفاته فإنه لا يؤمن بالقدر حقاً .

* فإن القدر من متعلقات توحيد الربوبية ، فمن آمن بربوبية الله آمن بقضائه وقدره وسلّم له في حكمه ، فإنه تعالى يدبر خلقه وعباده كيف شاء، لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون .

* والإيمان بالقدر والتسليم لله تعالى عند المصائب ، والشكر له عند النعم، والتوبة إليه عند المعاصي ، والإخلاص له في العبادة نيةً وقصداً وعملاً ، والصبر على ذلك ؛ من تحقيق توحيد الألوهية والعبادة .

* وكل أفعاله سبحانه وتعالى من العطاء والمنع والخفض والرفع والابتلاء والعافية والإعزاز والإذلال ، كل ذلك من معالم وآثار توحيد الله في أسمائه وصفاته وأفعاله .

سادساً : الإيمان بالقدر يقتضي من المؤمنين العمل لا الكسل :

من أسمائه سبحانه « الحكيم » ، ومعناه : الحكَم ذو الحكمة الذي يحكم الأمور ويتقنها ويضعها مواضعها اللائقة بها .

وهو « القدير » الذي لا يعجزه شيء ، ولا يمتنع منه شيء ؛ بل إذا أراد شيئاً فإنما يقول له : كن فيكون ، وخلق كل شيء فقدّره تقديراً : ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴾ [الفرقان :٥٩] .

فإذا تقرّر ذلك فإن الله تعالى بعلمه وخبرته وقدرته ومشيئته وخلقه وقوته قد جعل للمسببات أسباباً تنال بها ، وللمقاصد طرقاً ووسائل تحصل بها ، وقرر هذا في الفطر السليمة ، ودلّ عليه العقول الصحيحة ، وقرّر ذلك في الشرائع والرسالات ، ونفّذه في الواقع وجعله مدركاً من خلقه في الواقع والمشاهدات ، فأعطى كل مخلوق خلقه اللائق به ، ثم هداه لما خلقه له من أصناف السعي والحركة والتصرفات المتنوعة ، وبنى أمور الدنيا والآخرة على ذلك النظام البديع العجيب الشاهد لله سبحانه بكمال العلم والحكمة والقدرة والقوة ، وأشهد العباد أنه بهذا التنظيم الدقيق والتصرف الحكيم والتيسير البيِّن وجه العالمين إلى أعمالهم ، ونشطهم إلى أشغالهم ، ليحرصوا على ما ينفعهم ، ويباشروا من الأسباب الشرعية والمباحة ما أمكنهم ، مستعينين بربهم ، متوكلين عليه في تحصيل مقصودهم ، ولذلك قال الله تعالى : ﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ ﴾ [التوبة :١٠٥] ، وقال ﷺ : « **اعملوا ، فكلٌّ ميسَّرٌ لما خُلق له** »[١]. وقال ﷺ : «**احرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ولا تعجز، فإن أصابك شيء فلا تقل : لو أني فعلتُ كذا كان كذا ، ولكن قل : قدر الله وما شاء فعل** »[٢] . الحديث .

فعلى العباد أن يعملوا جهدهم ويباشروا ما تيسر لهم من أسباب ويتكلوا على ربهم ، فإن حصل لهم ما يحبون مما لا يخالف شرعه شكروا الله تعالى ، وإن أصابتهم مصيبة سلّموا له وحمدوه وصبروا ، وإن أذنبوا تابوا إلى ربهم

---

(١) رواه البخاري برقم (١٣٦٢) ، ومسلم برقم (٢٦٤٧) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

(٢) رواه مسلم برقم (٢٦٦٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

واستغفروه ، فتكون كل أمورهم لهم خير فيما يحبون وما يكرهون ، يشكرون عند حصول المحابّ ، ويصبرون عند المصائب ، ويتوبون ويستغفرون من المعائب .

سابعاً : وجه كون الله تعالى خالقاً لأعمال العباد :

دلَّت النصوص من الكتاب والسنة على أن الله تعالى خالق العباد ، وخالق أعمالهم ، فإنه الخالق وحده لا خالق غيره ولا رب سواه ، وهذا اعتقاد أهل السنة والجماعة ، قال تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات :٩٦] ، أي : أن الله تعالى خلقكم فأحسن خلقكم وكمله ، ومن ذلك أنه جعلكم مريدين للأعمال ، أي مختارين قادرين على ما شئتم منها ، فخلق فيكم الإرادات والقُدَر التي تقع بها أعمالكم ، وجعلكم مختارين ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [هود :٧] ، وبهذا كان سبحانه خالقاً لأعمال العباد ، أي : إنه خلق الأسباب التي تقع بواسطتها الأعمال ، وهي الإرادات والقُدَر ، فإن كل عمل من فعل أو ترك لابد لتحقّقه من إرادة يتم بها اختياره وقصد مباشرته ، وقدرة يتحقق بها فعله ، وهذا محل الثواب والعقاب ، فإنما يُثاب المرء على إرادته الخير ، وفعله ما استطاع منه ، ويعاقب على قصده الشر ومباشرته له ، وذلك كسبه وعمله الذي يجزى عليه ، ولهذا شرع لهم الدين المتضمن :

١ – دلالتهم على الطاعات وترغيبهم فيها بذكر ثوابها العاجل والآجل.

٢– تنبيههم على السيئات وأنواع المخالفات ، وتحذيرهم منها ، وزجرهم عنها بذكر العقاب عليها في الدنيا والآخرة .

٣– وما سكت الله عنه فهو المباحات التي لا يترتب على مباشرتا ثواب ، إلا إذا اقترنت بالنية الصالحة ، ولا يعاقب عليها إلا بنية السوء .

ودلت النصوص من الكتاب والسنة على :

١- أن على العبد أن يمتثل أوامر الله تعالى ما استطاع .

٢- أن يجتنب ما نهاه الله عنه مطلقاً .

٣- أن العبد لا يُؤاخذ بالخطأ والنسيان .

٤- وإذا أكره فلا إثم عليه ما دام قلبه مطمئناً بالإيمان .

٥- وما عجز عنه فلا يجب عليه بل يسقط ، قال تعالى : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ .

٦- وأن العبد إنما يجزى على ما أراده وباشره بمحض اختياره من طاعة أو معصية ، فمن أطاع فهو أهل للثواب ، ومن عصى فهو محل للعقاب ، ومن تاب فإن الله تعالى يتوب على من تاب .

ولهذا أخبر تعالى أنه خلق أعمال العباد لأنه سبحانه خلقهم وخلق فيهم الأسباب ، أي : الإرادات والقُدَر التي تقع بها أعمالهم ، وأضاف سبحانه أعمالهم إليهم ورتّب عليها الجزاء ، لأنهم أرادوها وباشروها بمحض اختيارهم ، ولهذا قال تعالى : ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان : ٣] ، وقال تعالى : ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ...﴾ الآية [الكهف : ٢٩] ، وقال تعالى : ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت : ٤٦] ، وقال تعالى : ﴿لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴾ [النجم :٣١] .

ثامناً : إثبات دوام إرادة الله تعالى وفعله :

١- دلت النصوص القطعية من الكتاب والسنة وإجماع السلف الصالح من الأمة على أن الله تعالى كان وما زال ولن يزال متصفاً بالفعل حقيقة على ما يليق بجلاله وعظمته ، كما قال تعالى : ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة : ٢٥٣] ، وقال تعالى : ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج : ١٦] ، فالقدرة على الفعل أزلاً وحالاً وأبداً من صفات كماله .

٢- والفعل من لوازم الحياة ، والرب تبارك وتعالى حي حياة كاملة لم يسبقها عدم، ولا يعتريها نقص ، ولا يعقبها فناء ؛ بل هو الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم ، فالفعل من لوازم الحياة وهو قيوميته بتدبير خلقه وملكه .

٣- وأفعال الله تعالى كصفاته قائمة به ، ولولا ذلك لم يكن فعالاً ولا موصوفاً بصفات الكمال، فإنه تعالى يفعل بإرادة ومشيئة ، فإذا أراد فعل شيء فعله ، فلا يمنعه مانعٌ ، ولا يمتنع منه شيء .

وأفعاله تعالى نوعان :

أ) أفعالٌ لازمةٌ تتعلق بذاته كالاستواء والنزول والمجيء والإتيان ونحوها، فتثبت له سبحانه على الوجه اللائق بجلاله ، كما أخبر عن نفسه ، وأخبر عنه نبيه ﷺ الذي هو أعلم الخلق به ، ولا يعلم كيفية ذلك إلا هو سبحانه .

ب) أفعال تتعلق بخلقه تتعدى إلى مفعول ، مثل : خلق ، رزق ، هدى ، أضل ، وقد دلّت على ذلك النصوص الكثيرة التي لا تحصى ، الدالة على أن هذه أفعال له حقيقة ليست مجازاً ، ولا كأفعال خلقه؛ بل هي أفعال تليق به ،

كقولـه تعـالى : ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ ﴾ [آل عمران :٢٦] ، وقولـه تعالى : ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ [الرحمن : ٢٩]، قيل في تفسير ذلك : يجبر كسيراً ، ويغني فقيراً ، ويفك أسيراً ، ويلطف بوليه ، ويحكم بعدله في عدوه ، وهكذا .

٤- ولأنه تعالى كما أخبر بذلك عن نفسه فقد ساقه مساق المدح والثناء بفعله على نفسه ، وأن ذلك من كماله ، فلا يجوز أن يكون سبحانه فاقداً للكمال في وقت من الأوقات أو حال من الأحوال .

٥- وأيضاً فإن إراداته وفعله متلازمان ، فما أراد أن يفعله فعله ، وما فعله فقد أراده ، بخلاف المخلوق الذي قد يريد ولا يفعل ، وقد يفعل ما لا يريد ، فما ثمّ فعّال لما يريد إلا الله وحده .

٦- وإرادته تبارك وتعالى نوعان :

أ- إرادة متعلقة بفعله هو سبحانه ، فهذه بحسب الأفعال ، فكل فعل له إرادة تخصه ، فكما أن أفعاله متعددة فكذلك إرادته متعددة .

ب- إرادة متعلقة بالعبد ، **وهذه أيضاً نوعان :**

الأولى : إرادة أن يجعل العبد فاعلاً فيكون كذلك ولابد ، لأن ذلك متعلق بالإرادة الكونية .

الثانية : إرادة الفعل من العبد ، وذلك قد يتحقق من العبد وقد لا يتحقق، وذلك متعلق بالإرادة الشرعية .

تاسعاً : بيان المشيئة والإرادة :

لا يتم الإيمان بالقدر حتى يؤمن العبد بمشيئة الله النافذة ، وقدرته الشاملة، وأن ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن ، والمشيئة والإرادة متقاربتان في المعنى ، وكلاهما من صفات الأفعال ، فالله تعالى لم يزل مريداً بإرادات متعاقبة ، فنوع الإرادة قديم ، وآحادها متجددة ، فيريد الشيء المعين في وقته، قال تعالى : ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ [البقرة :٢٥٣] ، وقال تعالى : ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ [البقرة :٢٥٣] .

إلا أن الإرادة إرادتان :

الأولى : إرادة كونية قدرية : تتعلق بما يريد أن يفعله هو سبحانه ، فهذه ترادف المشيئة تماماً في المعنى ، وهي أن كل ما حدث ويحدث وما سيحدث في الملكوت عُلويِّه وسُفليِّه ، وما بينهما ، من حركة أو سكنة أو طاعة أو معصية أو خير أو شر أو وجود أو عدم ؛ فكل ذلك واقع وحادث بإرادة الله الكونية ، ومشيئته العامة ، وله في ذلك الحكمة التامةوالحجة البالغة ، لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون ، لأن الملكَ مُلكه والخلق خلقه ، وهو يدبر ملكه كما يشاء ، لا رادَّ لحكمه ، ولا معقب لقضائه .

*** ومن ميزات هذه الإرادة :**

١- أنها متعلقة بفعله سبحانه .

٢- أنها كونية ، أي : متعلقة بالخلق والتكوين .

٣- أن المراد بها لابد أن يقع .

٤- قد يكون المراد بها محبوباً لله تعالى ، وقد لا يكون محبوباً .

الثانية : إرادة دينية شرعية : تتعلق بأمره ونهيه الشرعي الديني الذي تعبّد به العباد ، وهو ما يريد من العباد أن يفعلوه له سبحانه ، فكل ما شرعه فهو يحبه، فما أمر به فهو يحب من عباده فعله ما استطاعوا ، وما نهى عنه فيحب من عباده تركه .

*** ومن ميزات هذه الإرادة :**

١- أنها دينية شرعية .

٢- أنها متعلقة بأفعال العباد .

٣- أن المراد بها محبوب لله تعالى قطعاً .

٤- أن المراد بها قد يقع وقد لا يقع ، لأنه محل ابتلاء المكلفين .

*** والمراد بهذه الإرادة نوعان :**

١- مراد يحبه ويرضاه ، ويمدح فاعله عليه ويواليه ، وهو طاعته ، فمن أطاعه كان أهلاً لثوابه .

٢- مراد يبغضه ويكرهه ، ويذم فاعله ويعاديه ، وهو معصيته ، فمن عصى الله كان أهلاً لعقوبته ، فإن شاء عاقبه وإن شاء عفا عنه .

ولا يكون من العباد في الحالين إلا ما سبق به علم الله وجرى به قلمه ، ولكن الله غيّب القدر عنهم فلا يعلمون عنه حتى يقع ليباشروا أعمالهم بإرادتهم وقدراتهم، وابتلاهم ليظهر مرادهم واختيارهم الذي يستحقون الجزاء عليه فإنه هو كسبهم واكتسابهم الذي اختاروه بمحض إرادتهم من غير

جبر عليه وسعوا إليه حريصين على تحقيقه من غير التفات منهم للقدر أو علم به ، فالمطيع أراد الطاعة ، والعاصي أراد المعصية ، فكلاهما أراد وهو لا يدري هل يتحقق له المراد أم لا ، وبهذا تظهر نتيجة الابتلاء ، فيكون المحسنون مستحقين للثواب، والمسيئون مستحقين للعقاب ، بموجب أعمالهم التي أرادوها وسعوا لها وباشروها ، مختارين قاصدين غير عالمين بما سبق به القدر، فمريد الطاعة موفَّقٌ ينبغي له أن يلزمها ويشكر ، ومريد المعصية موبق، واجبه أن يتوب ويستغفر ، والإرادة والأعمال والأقوال هي التي تُكتب في صحف الأعمال ، وهي محصاة معلومة لله تعالى ، فيُجزون على ما في صحف الأعمال لا على ما سبق به علم ذي العظمة والجلال .

* * *

* من ثمرات الإيمان بالقدر :

للإيمان بالقدر ثمرات طيبة وعواقب حسنة على المؤمنين به في الدنيا والآخرة ، منها :

١- معرفة عظمة شأن الله تعالى ، فإن عظمة الخلق تدل على عظمة الخالق ، وتمام الملك يدل على قوة وكمال سلطانه سبحانه وتعالى ، وما فيه من إحكام وجمال وإتقان يدل على حكمته وقوته وقدرته وجماله .

٢- الإيمان بسعة علم الله تعالى ، الذي وسع كل شيء علماً ، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات والأرض وما بينهما .

٣- اليقين بأن كل حادث واقع من حركة أو سكنة أو حياة أو موت أو خير أو شر أو ضر أو نفع فرغ منه ، فقد سبق به علم الله تعالى وجرى به قلمه ووقع بمشيئته وخلقه ، وله في ذلك الحجة البالغة والحكمة التامة ﴿ لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ ﴾ [الأنبياء :٢٣] .

٤- كمال عبودية تلك المخلوقات على عظمتها وقوتها وكمال انقيادها وخضوعها لله تعالى ، وهذا مما يحمل العاقل على الذل لله تعالى والاستسلام له بما شرع ، تعظيماً له وإجلالاً وخشية منه وخوفاً .

٥- محبة الله تعالى ؛ للعلم بسعة رحمته وكمال جوده وعظمته وكثرة عفوه ولطفه ، فإن ما بالمرء من النعم التي لا تُعد ولا تحصى وكثرة الألطاف وعظم الفضل أكثر وأعم مما يصيب المرء مما يكره ، ومع ذلك فبما كسبت يداه .

٦- الاعتماد على الله تعالى عند فعل الأسباب لعلمه أن الله تعالى هو مسبب الأسباب ، وأن كل شيء بقدر .

٧- الطمأنينة والراحة النفسية تجاه ما يجريه الله تعالى من الأقدار ، فلا يقلق لفوات محبوب ، أو حصول مكروه ، لأن ذلك كل بقدر الله الذي له ملك السموات والأرض ، كما قال تعالى : ﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ﴾ [الحديد :٢٣] .

٨- أن لا يعجب المرء بنفسه عند حصول مراده لعلمه أن كل شيء بقدر من الله تعالى حيث رتب المسببات على أسبابها ، فلا يدلي على الله بعمل ، ولا يعجب بنفسه فإن إعجاب المرء بنفسه ينسيه شكر نعمة الله تعالى .

وختاماً :

رزق اللهُ الجميعَ العلمَ النافع والعمل الصالح ، وثبّتهم بالقول الثابت في الحياة وعند الممات وبعد الممات ، وزحزحهم عن النار وأدخلهم الفردوس الأعلى مع الأخيار .

وصلى الله وسلم على نبيه محمد ، وعلى آله وصحبه من المهاجرين والأنصار ، ومن تبعهم بإحسان إلى آخر الدهر .

** تم بحمد الله **

فهرس الموضوعات

* * *